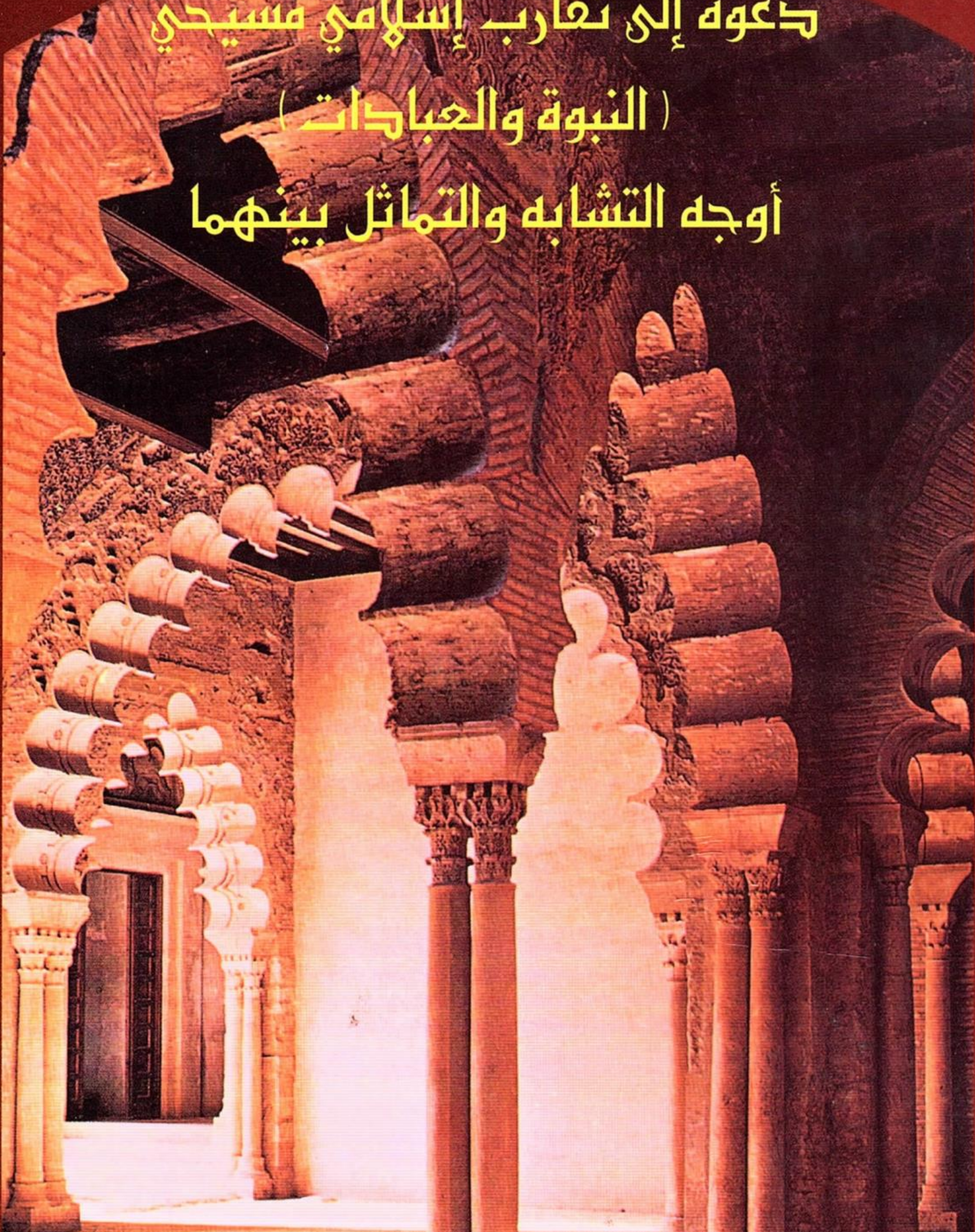
دعوة إلى تقارب إسلامي مسيحي

(النبوة والعبادات)

أوجه التشابه والتماثل بينهما



محمد الخضر
صالح السيد

دار السيد للدراسات والترجمة والنشر والتوزيع

دعوة إلى تقارب إسلامي مسيحي

(النبـوّة والعبـادات)

(أوجـه التشابه والتماثـل بينهما)

تمت طباعة كتاب (دعوة إلى تقارب إسلامي مسيحي)
للمؤلف صالح السيد محمد الخضر
بموجب الموافقة رقم (٣٩١٩٢) تاريخ ١/ ٤/ ١٩٩٧

❖ ❖ ❖

التدقيق اللغوي : الأستاذ يوسف الخضر

مراجعة النصوص : هاني السيد الخضر

(الطبعة الأولى)

صالح السيد محمد الخضر

دعوة إلى تقارب إسلامي مسيحي

(النبـوّة والعبادات)

(أوجـه التشابه والتماثـل بينهما)

الإهداء

إلى من علمني الفضائل والاعتماد على نفسي ،

منذ صغري ، وكان لي علماً ونبراساً .

إلى من علمتني حب الخير والعطاء بلا مقابل ،

وكانت لي قدوة ومثالاً .

إلى والديّ الفاضلين :

أهدي كتابي هذا

صالح السيد

مواضيع الكتاب

الفصل الأول

﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾

الفصل الثاني

(صلاة محمد والمسيح)

الفصل الثالث

(البر والإحسان في الإنجيل والقرآن)

١ ـ الأعمال الصالحات

- ـ مواقف السيد المسيح
- ـ الدين الإسلامي

٢ ـ دولة الأغنياء :

- ـ الغنى والفقر في المسيحية والإسلام
- ـ الغني وملكوت السموات في المسيحية
- ـ الغني والجنة عند الإسلام

٣ ـ الزكاة :

- ـ السيد المسيح يضع أساس الزكاة (تطهير المال)
- ـ الصلاة والزكاة في الإسلام

الفصل الرابع

(الخمر حرام في المسيحية والإسلام)

ـ المحرمات في الإسلام : النصوص الصريحة والقطعية

ـ قصة تحليل الخمر وتحريمها في المسيحية :

- ـ شهادة يوحنا المعمدان
- ـ تحليل شرب الخمر للمسيحيين
- ـ امتناع السيد المسيح عن الخمر
- ـ خمر الآخرة

الفصل الأول

﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾

ومستمرة وكخاصية من خصـائص تلـك الأقـوام العربيـة والمسـلمة ، أو أنهـا مـن خصائص الدين الإسلامي .

وتلقى تلك الكتب والدراسات إقبالاً كبيراً بين جماهير المثقفين الغربيـين عامـة وعند بعض جماهير المثقفين العرب والمسلمين أيضـاً والغايـة أو الغايـات مـن هـذا معروفة وواضحة لكل قارئ منصف .

ولا تزال الكتب المسمومة والحاقدة على الدين الإسـلامي والتـي تبحـث عـن (هنات أو هفوات) فيـه ، تطبـع وتـوزع بكـثرة متناولـة الأبحـاث المختلفـة مثـل (تعدد الزوجات وملك ذات اليمـين والجـواري والإمـاء وتملـك الرقيـق والعبيـد وتبحث الطلاق وإباحته في الإسلام وحول لباس المرأة المسلمة والحجاب وحـول العلاقات المصرفية والربا ، بين تحليل وتحريم وحول شرب الخمـر ولعـب الميسر وأكل لحم الخنزير وغيرها من المحرمات في الدين الإسلامي . . .)

وهذه الكتب تحمل بين ثناياها الدس والافتراء وأحياناً السخرية والهـزء ، كـل ذلك ضمن إطار (مبرمج) لتشويه سمعة هذا الدين وسمعة العـرب والمسـلمين ، تضعه أيد خفية تشرف وتسهر على تنفيذه علـى الوجه المطلـوب في كافـة أشـكال الإعلام الغربي والعالمي ، وإذا ما فتر الإقبـال علـى تلـك الكتـب فإنهـم يعمـدون إلى إثارة حملة جديدة إعلامية دعائيـة . . . يدفعـون مـن خلالهـا المثقـف (بلـه) والمواطن الغربي إلى الاستغراب والتساؤل والفضول ثـم إلـى الإقبـال مـن جديـد على شراء مثل تلك الكتب المغرضة ، وكلنا يذكر (كتاب الآيات الشيطانية لمؤلفه (سـلمان رشـدي) الـذي أقام أوربـا ولـم يقعدهـا بعـد ، ومـا حـدث حولـه مـن حملات إعلامية في الصحف والمجلات والإذاعات ومحطات التلفزيون ، وتناوله

معظم الكتاب والأدباء ، وحتى القادة والزعماء السياسيين والحكام في العالم ، بالقدح أو بالمدح ، ومما زاد الأمر ضجة وإثارة ذلك الحكم الذي صدر من (إيران) بإهدار دم الكاتب واعتبار قتله بمثابة عمل يرضي الله وسبيل إلى دخول الجنة ، وأضيف إلى ذلك أن إحدى الجهات الخيرية الإيرانية رصدت مكافأة مالية كبيرة لمن يأتي برأسه .

كما أن هناك دراسات خاصة تتناول شخصية الرسول العربي وتتناول الإسلام بصورة عامة ، وهي كتب تدعي العلمية والموضوعية وتصدرها بعض المؤسسات الفكرية والثقافية العالمية .

وخير مثال (موضوعي) نقدمه على هذا ، كتاب (المئة العظام في التاريخ) لمؤلفه (مايكل هارت) الذي صدر عام ١٩٧٨ حول أعظم مئة شخصية عالمية ، وأثار جدلاً كبيراً في مختلف الأوساط الثقافية والسياسية والدينية والعلمية : أولاً بسبب اختياراته ومبرراتها ، وثانياً بسبب ترتيب الشخصيات ، وكان الجدل الأكثر قائماً حول اختيار شخصية الرسول العربي ﷺ في المرتبة الأولى كأعظم إنسان عرفه تاريخ البشرية ، ولقد أعاد المؤلف حديثاً طباعة كتابه هذا وتنقيحه وتعديله حيث غير بعض الترتيب لبعض الشخصيات وأخرج من كتابه شخصيات أخرى وادخل شخصيات جديدة ولكنه احتفظ (لمحمد) ﷺ بالمرتبة الأولى في العالم . ويقول المؤلف في ذلك : (أعلم أن اختياري لمحمد على رأس قائمة عظماء التاريخ ، سيدهش أناساً وسيدفع أناساً آخرين للتساؤل والجدل ، ولكن محمداً هو الرجل الوحيد في التاريخ الإنساني كله الذي نجح على الصعيدين (الديني والعلماني) ، ويقدم مبررات وأسباب اختياره فيقول : (إن معظم الذين

احتواهم كتابي كانت الظروف الثقافية والسياسية والعلمية عندهم متقدمة ، أما محمد فلقد ولد عام ٥٧٠م في مكة في الجزيرة العربية التي كانت متخلفة ومتأخرة وبعيدة كل البعد عن الحضارة ، وكان محمد أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ونشر دينه وهاجر إلى المدينة عام ٦٢٢م وعاد إلى مكة منتصراً عام ٦٣٠م وبوفاته عام ٦٣٢م كان معظم الناس في الجزيرة العربية قد اعتنقوا الإسلام الذي وحد القبائل المتخلفة المتأخرة المتناحرة ، وظل تأثير محمد قوياً أثناء فترة الفتوحات ، مع أن العرب لم يكونوا في مستوى العدد والعدة في مواجهة الجيوش والشعوب التي حاربوها ، ومع ذلك تغلبوا عليها وضموها إلى راية محمد ، وما يزال تأثير محمد قائماً حتى الآن في معظم بلدان العالم المسلمة على الرغم من أن عدد المسلمين لا يكاد يزيد كثيراً عن نصف عدد المسيحيين في العالم) .

هكذا يحاول (المنصفون) من الكتاب الغربيين أن ينصفوا (محمداً ﷺ) بتحويله إلى شخصية تاريخية ، شخصية عبقرية فذة ، محاولين بذلك إخراجه من جوهره الأصلي كنبي ورسول من عند الله إلى قائد ومصلح اجتماعي ، هذا ما يكتب حول الإسلام وهذا أحدث ما توصلوا إليه .

أما عن الصحف الغربية (صحف هذه الأيام) والتي تستعر فيها الحملات العنيفة المباشرة وغير المباشرة ، فحدث ولا حرج ، فالمطروح على الساحة الإعلامية اليوم هو الحديث عن (الإرهاب الإسلامي) والعنف والتلذذ بالقتل والتدمير من قبل جماعات إسلامية يسمونها مرة أصوليين ومرة سلفيين ، وهم يشيرون بذلك إلى أن الدين الإسلامي وأصوله ، وأن سيرة السلف الصالح تقوم على هذه الأسس من الإرهاب والقتل والتدمير ، ثم يقدمون الدراسات والأبحاث حول ذلك ويعلقون على الأحداث والأخبار (الإرهابية) بأن دين الإسلام يحض عليها وأن في القرآن

الكريم الآيات العديدة تدل على الإرهاب كمستندات دينية وعقائدية .

لقد فات أولئك الكتاب والصحافيين والإعلاميين أنهم يكيلون بمكيالين ، كما هو شأن (سياسة العالم الجديد اليوم التي تطبق الأصول السياسية (المكيافلية) ، بكل قحة وصلافة ، وربما كان العذر للساسة في ذلك لأغراضهم الخاصة ـ وأي عذر !؟ ولكن ليس هناك عذر لأصحاب الفكر والباحثين إلا إذا كانوا في خدمة الساسة وأهدافهم المغرضة ، فهم :

١ ـ يسلمون بالديانات اليهودية والمسيحية كأديان سماوية ولا يناقشونها كما يحدث مع الدين الإسلامي الذي يشككون فيه كدين أساساً بينما يظلون ملتزمين بانتمائهم الديني واحترامهم لأديانهم .

٢ ـ يطعنون بالدين الإسلامي وفي منطلقاته ويحاولون الاستفادة من أرضيته الاجتماعية والفكرية والتاريخية لتطغى على الجانب الإلهي فيه ، بينما يغضون النظر عما في الأديان الأخرى وكتبها من تناقضات تاريخية وتشريعية وعقائدية .

٣ ـ يحاولون تجاهل ما ألحقه الإتباع والكتاب للتوراة والأناجيل من تجاوزات وتغييرات ، وتجاهل التناقض القائم بين الديانتين اليهودية والمسيحية مع العلم أن المسيحيين يعدون التوراة (العهد القديم) من كتبهم السماوية .

ويبحثون جاهدين عن تناقضات داخل العقيدة الإسلامية وداخل كتاب الإسلام الرئيسي (القرآن الكريم) .

هذا من جهة الموقف العام تجاه المسلمين والدين الإسلامي ، وفي المقابل فإن النظرة إلى الدين المسيحي والدين اليهودي عند بعض المسلمين وكتّابهم فإنها نظرة

عدائية وهجومية أيضاً ، تتناول جوانب عديدة عامة من ناحية وجوانب عديدة فرعية وجزئية من ناحية ثانية ، وتتم مهاجمة هذين الدينين في نقاط عديدة نورد بعضها :

١ ـ اليهود أعداء الإسلام وأعداء الرسول ﷺ حاولوا قتله مرات عديدة وحاولوا حرف الدين الإسلامي عن طريقه القويم ، ولم يعترفوا بالإسلام ديناً ، وأكثروا الجدل مع الرسول حتى كانت معظم السور والآيات القرآنية تدور حول هذه المساجلات ، وتورد قصصهم وانحرافاتهم وانحطاطهم الفكري والأخلاقي .

٢ ـ قام الرسول ﷺ بمحاربة اليهود الذين نقضوا العهود معه , وبإجلائهم عن الجزيرة العربية ، فمحاربتهم واجبة على مر العصور ، فهم الأعداء الأزليون للإسلام والمسلمين .

٣ ـ انحرف اليهود بشرائعهم عن تعاليم موسى عليه الصلاة والسلام ووصاياه عن تعاليم ووصايا الأنبياء السابقين جميعاً .

٤ ـ قدم اليهود للعالم إلهاً (عنصرياً) متعصباً لدينهم وجنسيتهم بل وعرقهم أحياناً ، وهذا ليس هو الله الذي يقبل به المسيحيون أو المسلمون .

٥ ـ اعتبروا شعوب العالم أجمع (أمميين) محتقرين وهم دون طبقة أو فئة اليهود (المختارين) ـ شعب الله المختار ـ وليست لهم حقوق إنسانية ، بل إنما عليهم واجبات أهمها خدمة سادة العالم (اليهود) .

٦ ـ اليهود من الناحية الأخلاقية لا عهد لهم ولا ذمة ولا كرامة ، يستبيحون كل المحرمات والشرائع والقوانين والأنظمة ، وليست لهم إلا (شريعتهم) التي وضعوها حسب أهوائهم والتي لا تخدم إلا مصالحهم .

ويستخدم اليهود من أجل ذلك كل الوسائل والسبل والأساليب ، جماعات

أو أفراداً للوصول إلى أغراضهم الخاصة مع شعوب أو أفراد الأمم الأخرى .

٧ ـ الكتاب الديني الحقيقي عند اليهود (اختفى) أو أخفوا معظمه ، والظاهر منه حرّف عن قصد لمحاربة الدين الإسلامي .

٨ ـ الهجمة الصهيونية الأخيرة على المنطقة العربية والتي تجلت في اغتصاب (فلسطين) وطرد شعبها ، والادعاء بملكيتها الأزلية والأبدية .

فاليهود مرفوضون من قبل المسلمين بديانتهم الراهنة المحرَّفة والمنحرفة عن شريعة موسى والصهيونية مرفوضة أيضاً لما قامت وتقوم به من شرور وآثام في المنطقة العربية وفي العالم .

أما بالنسبة للدين المسيحي فإنه يهاجم كذلك من نواحي عديدة أهمها :

١ ـ أن الدين عند الله الإسلام ، ولا يعترف على دين آخر سواه ، سواء كان الدين المسيحي أو الدين اليهودي ، أما الأديان الوثنية فليست مرفوضة فحسب بل إن محاربتها والقضاء عليها واجبة .

٢ ـ الكتب الدينية عند المسيحيين (الأناجيل والتوراة وملحقاتهما) كلها مزودة أو منحولة ، ومتناقضة ولا يعترف بها المسلمون .

أما الكتاب الديني (الإنجيل الحقيقي) فلقد اختفى أيضاً ، وأنكره أو حاربه رجال الدين المسيحيون ، فحجبوا كثيراً من الأناجيل ومنعوا تداولها أو الاعتراف بها .

٣ ـ هناك وثنية وشرك عند المسيحيين عندما يعدون المسيح عليه الصلاة والسلام (ابن الله) مرة أو (الله) مرة أخرى .

٤ ـ قضايا أخرى عديدة ، خلقت اشكالات متنوعة وتناقضاً أحياناً ، حول قضية (صلب السيد المسيح) التي ما يزال الجدل قائماً حولها حتى الآن ،

عندما تطرح أو تناقش من قبل الطرفين .

٥ ـ انحراف المسيحيين عن الشريعة الإلهية التي هي شريعة موسى وعيسى ومن سبقهما من الأنبياء ، وبالتالي هي الشريعة التي أصبحت نهائية بعد أن أتمها محمد ﷺ لتصبح (شريعة الإسلام) في أمور اجتماعية عديدة منها (شرب الخمر ـ أكل لحم الخنزير ـ عدم الختان ـ أكل الربا ـ الزواج والطلاق الخ . . .) .

٦ ـ كراهية المسلمين للغرب المسيحي بسبب الحروب التي استعرت باسم (الصليب) في المنطقة العربية لاسترداد بيت المقدس وتحريره من المسلمين .

٧ ـ الموافقة العالمية من المسيحيين الغربيين على ادعاءات إسرائيل بحقها في أرض فلسطين ، وأنها هي (أرض الميعاد) وأنها حق إلهي لليهود نصت عليه التوراة ، التي هي (العهد القديم) عند المسيحيين وتشكل كتاباً أساسياً وجزءاً مهماً من الكتاب المقدس .

وخلاصة القول :

١ ـ إن هناك (صراع) قديم بين هذه الأديان الثلاثة بدأ منذ محاربة اليهود للمسيح ومحاولة صلبه أو جعله ملكاً عليهم ،

وكذلك محاربة محمد ﷺ لجعله نبياً لهم ثم محاولة قتله ، وما يزال هذا الصراع مستمراً حتى اليوم على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية يظهر سافراً أحياناً ومستتراً أحياناً أخرى .

٢ ـ إن هناك (تناقضاً) بين هذه الأديان الثلاثة ، التي يقول عنها المسلمون أنها أديان سماوية ليضموا دينهم إلى الدين المسيحي السماوي وإلى الدين اليهودي السماوي ، من النواحي العقائدية .

٣ ـ وأن هناك (اختلافات) أساسية في النواحي الاجتماعية والتشريعات والأنظمة والقوانين .

والأوضح من ذلك كله من الناحية النفسية والوجدانية ـ في الأعماق أن هناك :

آ ـ عدم تقبل كل طرف من الأطراف الثلاثة للطرفين الآخرين .

ب ـ محاولة الهيمنة والسيطرة من قبل كل طرف على الأطراف الأخرى بشتى الوسائل والسبل (استعمار ـ احتلال ـ حروب ونزاعات ـ تصفيات ـ تبشير الخ . . .)

جـ ـ عدم وجود فهم متبادل أو محاولات فهم بين الأطراف الثلاثة لكل دين من الأديان السماوية ذاتها . وإن وجدت فهي قليلة وحديثة العهد .

د ـ عدم تقبل الأمر الواقع بأن هناك دين يهودي كما هو عليه له اتباعه ، موجودون ومتواجدون في العالم ويتعاملون مع الشعوب الأخرى ، من قبل المسلمين .

وكذلك عدم تقبل الأمر الواقع بأن هناك دين مسيحي بعد اتباعه أكثر من نصف سكان العالم ، لهم شريعتهم وكتبهم المقدسة التي يسلمون ويتمسكون بها ، من قبل اليهود والمسلمين .

وكذلك عدم تقبل الأمر الواقع من قبل المسيحيين واليهود بأن هناك أكثر من نصف عدد المسيحيين في العالم هم من المسلمين ، لهم شريعتهم وكتابهم المقدس (القرآن) موجودون على سطح الكرة الأرضية أيضاً وعليهم التعامل معهم على أسس من (الإخاء والتعاون والواقعية) ، وأن الاختلافات والخلافات فيما بينهم لم تجر على الجميع إلا الويلات والمصائب والنكبات ، خلال العهود التاريخية المنصرمة وحتى الوقت الراهن ونحن على نهايات القرن العشرين .

إن المسلمة البديهية التي يجب أن يعترف بها الجميع هي أن البشر سيظلون يتبعون ديانات عديدة متنوعة ومختلفة على مر العهود وباستمرار الحضارة الإنسانية :

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾ ويؤكد القرآن الكريم على أن الاختلافات أزلية وقائمة أبد الدهر : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ﴾ وطالما أن هذا هو الأمر الواقع فعلينا التعامل معه بوسائل إنسانية وأخلاقية ، فلنتعاون معاً ونضع أيدينا بأيدي بعضنا لنفتش عن نقاط الاتفاق العديدة في كثير من المواضيع الخلافية ، علّها تكون بداية إيجابية يتابعها ويكملها آخرون ، على طريق التقارب واللقاء بين الأديان السماوية .

فلنحاول أن نتابع القصة مع هذه الأديان منذ بدايتها التاريخية الأولى ونتتبعها وفق تسلسل الأحداث وتطورها ، وليكن حديثنا في البدء حول نبوة محمد ﷺ .

٢ ـ النبؤات الدينية : قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ سنقرئك فلا تنسى . . . فذكر إن نفعت الذكرى . . . إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى ﴾ سورة الأعلى ، ولنبحث معاً في الصحف الأولى (الإنجيل ، التوراة ـ ثم القرآن) ، وفي المصادر التاريخية الأخرى ، فتظهر لنا الحقيقة التاريخية التالية :

إن في كتب تلك الأديان اختلافات خرجت بها من ديانات التوحيد والإيمان بإله واحد لكل البشر ، إلى ديانات أخرى مختلفة ، منها ما هو دين خاص ، ورب خاص بفئة أو جماعة معينة (اليهود) ومنها ما هو متناقض مع ذاته ومع أصول الأديان والتوحيد على مختلف اتجاهاتها القديمة والحديثة . مع محاولات توليفية عقائدية للحفاظ على فكرة التوحيد .

إن في تلك الكتب عبارات وجمل تشير إلى نبوءات مؤكدة عن قيام دين

جديد وظهور رسول جديد للإنسانية جمعاء ، على الرغم من محاولات المفسرين والمؤولين لها إلى تأويلات خاصة مجافية للحقيقة ، حتى يبعدوها عن الإشارة إلى ذلك الدين الجديد (دين الإسلام) ، والنبي الجديد (محمد ﷺ) .

إن الدراسات لتلك النصوص والكتب وللوقائع التاريخية التي حدثت تدحض ادعاءاتهم ، فلنتتبع ذلك كما يلي :

١ ـ ما ورد في التوراة .

٢ ـ ما ورد في الأناجيل الأربعة وخاصة إنجيل العبرانيين .

٣ ـ ما ورد عن الرهبان والقساوسة في الحجاز .

٤ ـ الصيرورة التاريخية للدين الإسلامي .

التــوراة :

قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [آية ١٤٦ سورة البقرة] .

تتناول سورة البقرة في القرآن الكريم والتي أخذت اسمها من بقرة (بني إسرائيل) في جانب كبير منها ، الحوار العقلي والنقاش المنطقي مع بني إسرائيل حول نبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقصته معهم وفضل الله عليهم ، وتعجيزهم لأنبيائهم وقتلهم ، كما ذكرت إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام والتسلسل التاريخي لمجيء الرسل ، ووحدة الأديان في دين واحد هو دين الإسلام ، حتى نصل إلى الآية الكريمة المذكورة والتي يشير القرآن الكريم بموجبها صراحة ، وفي أكثر من موضع إلى أن أهل الكتاب وخاصة اليهود يعرفون حقاً

وصدقاً نبـوة (محمـد ﷺ) ولكنهـم يكتمونهـا ، وهـم علـى علـم ودرايـة تامـة وأن معرفتهم به كمعرفتهم لأبنائهم ليس فيها أي مجال للشك أو التردد .

إن في التوراة وهي الكتاب المقـدس الرئيسي عنـد اليهـود ذكـر (محمـد ﷺ) في نصوص عديدة ولكنهـم طمسـوا وأخفـوا كثيراً مـن العبـارات والصفحـات التـي تشير إلى ذلك ، وذلك في قوله تعـالى : ﴿ قـل مـن أنـزل الكتـاب الـذي جـاء بـه موسـى نـوراً وهـدى ، تجعلونهـا قراطيـس تبدونهـا وتخفـون كثيـراً ﴾ [آيـة : ٩١ سورة الأنعام] فلنلـق نظـرة سـريعة علـى العهـد القديـم (التـوراة) قبـل أن نلجهـا للكشف عما فيها ، فيما يتعلق بموضوعنا (نبوة محمـد ﷺ) ومـا فيهـا مـن تبديـل وتحريف .

تطلق تسمية العهد القديـم علـى الكتـاب المقـدس عنـد اليهـود ويسـمى باللغـة العبرية (تنخ) ويشتمل على :

أ ـ التوراة : وتتألف من خمسة أسفار ، هي سفر التكوين وسـفر الخـروج وسـفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية .

ب ـ الأنبياء : وفيه سيرة الأنبياء من بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام حتـى السبي البابلي وخراب هيكل أورشليم على يد نبوخـذ نصر سـنة ٥٨٧ق . م ثـم يذكـر كذلـك بعـض الأنبيـاء مثـل يونـس وعـاموس وعوبيديـا ونـاحوم وزكريا الخ . . .

جـ ـ كما ألحقت بالعهد القديم مزامير داود وأمثال سليمان عليه الصلاة والسـلام وتاريخ النبي أيوب ، ويشتمل على ثمانية أسفار هي : سفر نشيد الأنشاد ـ راعوث ـ المراثي ـ الجامعة ـ استير ـ دانيال ـ عزرا ـ نحميا .

د ـ كتب الأخبار وهي أخبار أيام بني إسرائيل .

والملاحظة المهمة هنا هي تكرار تاريخ وأخبار بني إسرائيل منذ بدء الخليقة كما يدعون ، وكثرة التناقضات فيها ، والأهم من ذلك ـ وهذا يكشف عن عشرات الفرص للتحريف والتبديل والحذف والإضافة إلى تلك الكتب ـ هو اضطراب اللغة العبرية التي كتبت بها من مرحلة إلى أخرى ، وهذا خير شاهد ودليل .

لقد أظهرت الدراسات التاريخية القديمة والحديثة ، أن أصول اللغة العبرية كانت موجودة في بلاد (كنعان) وهو ابن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام حتى قبل أن يهاجر إليها العبرانيون من طور سيناء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، والذين كانوا يتكلمون لهجة آرامية قديمة ، ثم سيطرت عليهم اللغة الكنعانية التي حرفوا فيها كثيراً على مر الزمن فظهرت لهجة خاصة بهم أصولها كنعانية وقد ورد ذكرها في سفر أشعيا باسم (لغة كنعان) ، وتدل معظم الآثار والنقوش الصخرية والمعدنية ، على أن تلك اللغة العبرية القديمة مرت بأدوار عديدة ، دونت خلال الدور الأول بعض أسفار العهد القديم ، واستمر تدوينها حوالي ثلاثة قرون ، من القرن التاسع حتى القرن السادس ق . م قبل الميلاد .

وفي الدور الثاني تغلبت اللغة الآرامية وتسمى (السريانية) أيضاً على اللغة العبرية بسبب العوامل التاريخية والتحولات التي جرت في فلسطين من غزو الآشوريين والكلدانيين لها ثم الفرس والإغريق والرومان ، وأخيراً الفتح العربي الإسلامي ، ورغم المحاولات العديدة للحفاظ على لغة مستقلة خاصة بهم ، إلا أن التأثر باللغات الأخرى ، جعل نقل وكتابة وتدوين أسفارهم وتشريعاتهم وتاريخهم يلحقه الكثير من التبديل والتغيير والتحريف ، وعندما نصل إلى

(٧٠)م بعد تدمير القدس وحرق الهيكل نجد نكسة جديدة أصابت اللغة العبرية وأدت إلى تدهورها مرة ثالثة ، وما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن (العبرية التلمودية) التي امتدت حتى القرون الوسطى ، كان التدوين بها آنذاك مرافقاً لظهور الدين الإسلامي الجديد ، الذي حاول اليهود جعله ديناً لهم ، وجدير بالإشارة إلى أن بعض النسخ القديمة للتوراة القريبة من الحقيقة التاريخية والدينية كانت موجودة عند بعض زعماء اليهود وأحبارهم ، فلعبوا دوراً كبيراً في التحريف والتبديل والإخفاء بعد اختلافهم مع الرسول الكريم ﷺ ويظن أن اليهود الذين طردهم وشتتهم (محمد ﷺ) في أنحاء الجزيرة العربية سعوا إلى الحصول على تلك النسخ وإخفائها أو إتلافها .

أما في المرحلة الأخيرة الحديثة للغة العبرية ، فتدل دلالة واضحة على اضطراب كتبهم وأسفارهم ، كاضطراب لغتهم وخللها الحالي والذي تعاني منه (إسرائيل) اليوم .

كان لابد من الإشارة السريعة والمختصرة هذه إلى تاريخ اللغة العبرية لأنها أقوى دليل على التبديل والتغيير في كتب اليهود الدينية سواء عن غير قصد قبل القرن السابع الميلادي ، وعن قصد وسوء نية خلال هذا القرن وما بعده لنفي نبوة (محمد ﷺ) .

ونعود إلى القرآن الكريم الذي يذكر في موضع آخر فيقول : ﴿ إن الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ [الآية : ٢٠ سورة الأنعام] .

وبعد ظهور نبوة (محمد ﷺ) وإعلانه دعوته إلى الدين الجديد اختلف اليهود فيما بينهم ، بين مصدق ومكذب ، وبين رافض لهذا الدين ومتسائل حوله وحول حقيقته ، فرد عليهم القرآن الكريم : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا

يبين لكم على فترة من الرسل ، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شي قدير ﴾ [الآية : ١٩ سورة المائدة] .

ثم يخاطبهم عشرات المرات وفي كل مرة يؤكد على الحقيقة التاريخية وهي ظهور نبي جديد ودين جديد ، فيقول في سورة المائدة أيضاً في الآية : ١٥ : ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ .

ويقول تعالى في بدايات الدعوة الإسلامية : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ❖ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ❖ فيها كتب قيمة ❖ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ [١ ـ ٤ سورة البينة] . وبعدما جاءتهم البينة ، اختلف اليهود فيما بينهم اختلافاً شديداً فمنهم من تأكد من صدق هذا الدين الجديد ، وصدق به وهم قليل واعتنقوا الإسلام ، ومنهم من كان منكراً له عن علم ودراية ومعرفة فيقول تعالى : ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ماجائهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الآية : ١٧ سورة الجاثية] . ثم يقرر تعالى بقوله : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجائهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ [الآية : ١٩ سورة آل عمران] .

دعوة إبراهيم وبشرى عيسى :

قال عليه الصلاة والسلام : « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى » وعندما يقول ﷺ ذلك ، فهذا يعني أن النبي ﷺ هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وإسماعيل كما هو معروف ابن إبراهيم البكر

الذي ولد من جاريته (هاجر) ، إذ كانت (سارة) زوجة إبراهيم عـاقراً وطاعنة في السن ، فدفعت له جاريتها (هاجر) ليستولدها ، والقصة موجـودة في التـوراة مع بعض التحريف والتبديل في عدة مواطن : إذ تقول التـوراة بعـد أن حبلت هـاجر بإسماعيل عليه الصلاة والسلام : [لما هربت (هـاجر) جارية (سـارا) من جـراء اضطهادها لها ، ظهر لها ملاك الرب وقال لها : تكثيراً أكثر نسـلك فلا يعـد من الكثرة ، وقـال لهـا مـلاك الـرب : هـا أنت حبلى فتلديـن ابنـا وتدعـين اسـمه (إسماعيل) لأن الـرب قـد سمع لمذلتك ، وأنـه يكـون انساناً وحشياً (عـاش في البرية) ، يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع أخوته يسكن] (سفر التكويـن الاصحـاح ١٦) ثـم قـام إبراهيـم عليه الصـلاة والسـلام بعـد أن هربت (هاجر) من وجه (سارة) بإعادتها إلى خيامـه : [فولـدت (هـاجر) لأبـرام (إبراهيم) ولداً ، ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدتـه (هـاجر) (إسـماعيل) ، وكـان ابرام ابن ست وثمانين سنة ، لما ولدت هـاجر إسـماعيل لابـرام] (سـفر التكويـن الاصحاح السادس عشر) .

أما اسحق فلقد ولدته (سارای) سارة بعد أربعة عشر عامـاً : [وكـان إبراهيـم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه] (سفر التكوين الاصحـاح ٢١) ، ولسنا هنا في مجال البحث عن المغالطة الكبيرة حول (إسـماعيل واسـحق) عليهمـا الصـلاة والسلام وأيهما الذبيح ، وحول ما دخل إلى نفوس بعـض علمـاء المسـلمين مـن شك في ذلك .

واشتد أوار غيرة (سارة) فطلبت إلى إبراهيم عليـه الصـلاة والسـلام أن يبعـد (هاجر) وولدها عنها ، خاصة بعد ولادة (اسحق) ، فكانت لا تريـد لهـذا الولـد

البكر أن ينافس ابنها ، وكان إسماعيل ابن خمسة عشر عاماً ، وتذكر التوراة ما يلي : [فبكر إبراهيم صباحاً ، وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياها على كتفها والولد وصرفها ، فمضت وتاهت في برية (بئر سبع) ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست بعيداً نحو رمية قوس لأنها قالت لا أنظر موت الولد ، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر ، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام ، قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأنه سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية (فاران) نحو الجنوب ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر] (١٤ ـ ٢١ الاصحاح ٢١ سفر التكوين) .

يظهر لنا من هذا النص ما يلي :

١ ـ في تلك البرية لم يكن ذلك الموقع منها قد سمي (بئر سبع) بل سمي فيما بعد ، ولم تكن البئر محفورة ، والقصة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أخذ سبع نعاج دفعها ليد ملك جرار (أبي مالك) لتكون له شهادة بحفر تلك البئر ، وحلفا كلاهما (إبراهيم وأبو مالك) ثم دعا ذلك الموقع (بئر سبع) الاصحاح نفسه سفر التكوين .

٢ ـ البرية الجنوبية التي كانت تسمى آنذاك من قبل العبرانيين مع صحراء سيناء (أرض مصر) هي شمال بلاد الحجاز .

٣ ـ قال لها ملاك الرب (قومي احملي الغلام) أي تابعت هربها جنوباً إلى برية (فاران) ـ بلاد الحجاز ـ

٤ ـ كيف أخذت هاجر لإسماعيل عليه الصلاة والسلام زوجة من أرض مصر ؟ فهل ذهبت وحدها إلى مصر وزوجته من هناك ؟ إذ لم يتركهما إبراهيم على هذه الصورة ، بل سار بهما إلى تلك البرية (برية فاران) وأسكنهما هناك لأن إسماعيل كان عزيزاً على إبراهيم ، وكان بكره ، حتى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما ورد في التوراة كان يطلب إلى ربه رعاية إسماعيل وحفظه وحمايته ، فعندما يتحدث رب بني إسرائيل إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن (اسحق) ، يضيف قائلاً : [وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك] (١٢ ـ سفر التكوين) ، ويدعو إبراهيم ربه من أجل إسماعيل : [وقال إبراهيم لله ، ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : لقد سمعتك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة] (سفر التكوين الاصحاح السابع عشر) ، ويقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ﴾ [الآية : ٣٦ سورة إبراهيم] ، ويُسكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إسماعيل وأمه في ذلك الوادي القاحل وتشاء قدرة الله تعالى أن يوجد بئر ماء زمزم ، ليكون مصدر حياة لهما ومصدر حياة لتطور هذا المكان وصيرورته إلى ما صار إليه (مكة المكرمة) ، ثم يطمئن عليهما إبراهيم ويعود إلى عشيرته ، وتتوقف بعض القبائل في ذلك المكان عند بئر الماء ، ثم تتحول بعض خيامها تدريجياً إلى بيوت من طين ، دلالة على الاستقرار وكانت أكبر تلك القبائل هي قبيلة (جرهم) التي اتخذت (هاجر) لابنها (إسماعيل) عليه الصلاة والسلام زوجة له من تلك القبيلة ، ويكثر نساؤه وأولاده وبناته (نسله) .

من هنا نجد أن نسب الرسول العربي الكريم ﷺ كما هو معروف في الأنساب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي يتصل إلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام .

وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يزورهما ويتفقدهما مرات عديدة ، وعاد بعد غياب طويل ليجد ذلك المكان مليئاً بالناس وبالخيام والبيوت ، فدعا ربه : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات ، من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [آية : ١٢٦ سورة البقرة] ويقول تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ [الآية : ٣٥ سورة إبراهيم] .

ويقرر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بناء بيت مبارك للعبادة في ذلك البلد بناء على وحي من الله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ❖ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [الآية : ١٣٧ ـ ١٣٨ سورة البقرة] .

هكذا يكون محمد ﷺ من نسل إسماعيل عليه الصلاة والسلام ويكون نبياً ورسولاً أيضاً .

تورد التوراة نبوة محمد ﷺ بالنصوص التالية : [يقيم الرب لك إلهك نبياً من وسطك ، من اخوتك قِبَلي ، له تسمعون] (١٦ ـ الاصحاح الثامن عشر سفر التثنية) ، وكان هذا كلام الرب ووعده .

ويقول تعالى في القرآن الكريم بدعوة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [الآية : ١٢٩ سورة البقرة] .

وتؤكد التوراة مرة أخرى في (سفر التثنية ٢١) نبوءة نبوة النبي : [أقيم لهم نبياً من وسطهم ، من وسط أخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فمه ، فيتكلم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه] وذلك يعني ظهور نبي من بني إسماعيل أخوة (اسحق) ، وتكون له شريعة ودين مثل شريعة ودين موسى عليه الصلاة والسلام .

وظهرت الاختلافات الكثيرة بين بني إسرائيل حول نبوة هذا النبي ، إذ كان اليهود ينتظرون بعثة ثلاثة من الأنبياء هم : (ايليا) (الياس) ، والمسيح (عيسى) ، و(النبي) كما ورد في كتبهم ، وسنبحث هذا الأمر وهذه الاختلافات منطلقين من قوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ [آية : ٧٦ سورة النمل] .

ما ورد في الأناجيل :

بعث الله سبحانه وتعالى في كل أمة رسولاً ، جاء في القرآن الكريم ذكر بعضهم بصورة موجزة ، كما جاء فيه العديد من القصص والأخبار حول بعض الأنبياء والرسل ، وبشيء من التفصيل عن دعوتهم ورسالاتهم ، وبعضهم لم يرد ذكره ولا اسمه .

﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ [الآية : ٧٨ سورة غافر] .

أما عن المسيح عليه الصلاة والسلام فلقد ظهرت نبوته قبل ولادته عندما أرسل الله كلمته إلى مريم عليها السلام وكانت ولادته من المعجزات السماوية التي لم تتكرر في تاريخ البشرية .

وبدأ رسالته بعد (إيليا) النبي (الياس) ، وكان عمره ثلاثين عاماً [ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي] ، حيث كان اليهود ينتظرون ولادته ، فعندما سأل هيرودس اليهود [أين يولد المسيح ، فقالوا له في بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبي] (٥ ـ ٦ الاصحاح الثاني ـ إنجيل متى) ، وكما هو معروف حاول اليهود أن ينصبوه ملكاً عليهم ليعيد لهم مجدهم ، ويحقق لهم المكاسب المادية والثروات الطائلة ، وكانوا يحلمون بحكم الشعوب والأمم الأخرى حيث كانت دعوة المسيح عليه الصلاة والسلام في البداية مقتصرة على اليهود ، وظهر ذلك خاصة عندما قابل المرأة الكنعانية التي طلبت نجدته لشفاء ابنتها [فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين أصرفها لأنها تصبح وراءنا ، فأجاب وقال لهم لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة] (٢٤ ـ ٢٥ إنجيل متى الاصحاح الخامس عشر) .

وهكذا اعتقد اليهود تماماً أنه نبي خاص بهم ولهم دون غيرهم من الشعوب الأخرى ، إلا أن الذي حدث كان عكس ذلك ، فعندما بدأ المسيح يكرز ببشارة الملكوت (الإنجيل) و (دخل يسوع إلى هيكل الله واخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وباعة الحمام وقال لهم مكتوب بيتي بيت الصلوة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص] (١٣ ـ ١٤ إنجيل متى الاصحاح الحادي والعشرين) ، فاصطدم مع رؤساء الكهنة وشيوخ

الشعب ودخل في مساجلات ومناقشات حادة وعديدة معهم كان بنتيجتها أن قال لهم [كذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره] (٤٤ ـ إنجيل متى) . وهدد الكتبة والفريسين المرائين ودعاهم بقتلة الأنبياء وتنبأ بهدم الهيكل ودمار أورشليم وخرابها ، ثم توجه ببشارته إلى جميع الأمم في صور وصيدون وفي الجليل وفي وسط السامرة وفي جميع أنحاء سورية حيث شفى الرجل السامري من مرضه ومكث عندهم يومين وآمن به كثيرون منهم [وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب فذاع خبره في جميع أنحاء سورية] (٢٢ ـ ٢٥ إنجيل متى الاصحاح الرابع) كما كانت تعاليمه ووصاياه ودعوته تضيق عليهم الخناق وتحد من جشعهم وفسادهم وممارساتهم اللاأخلاقية ، فكان الفراق والعداء بين المسيح عليه الصلاة والسلام وبين اليهود منذ ذلك الحين وإلى اليوم ، وبذلوا كل جهد وما يزالون لمحاربته ومحاربة أتباعه حتى حكموا عليه بالصلب وتحملوا وزر دمه إلى الأبد ، كما دبروا المذابح المسيحية الأولى على يد الرومان والتي لن يمحوها التاريخ ، وتسلل عدد من أحبار اليهود إلى الديانة المسيحية ليسيطروا عليها ويهيمنوا على تعاليمها ويوظفوها لصالحهم ، معتبرين أنفسهم أوصياء على الأديان كافة ، حتى أن بعض دعاتهم انحرفوا عن تعاليم المسيح عيسى بن مريم ووصاياه ، وأحلوا للشعوب الأخرى ما أرادوا ، والأهم من ذلك هو طمس النبوءة التي بشر بها المسيح عليه الصلاة والسلام عن نبوة محمد ﷺ ، فلقد وردت نبوءات عديدة تشير صراحة إلى ذلك في الأناجيل :
[ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيليبس سأل تلاميذه قائلاً من يقول الناس أني أنا ابن الإنسان ، فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا أو نبي من الأنبياء] (١٣ ـ ١٥ إنجيل متى الاصحاح السادس عشر) .

كما ورد في إنجيل مرقس (الاصحاح السادس ١٤ ـ ١٥) [فسمع هيرودس الملك لأن اسمه صار مشهوراً ، وقال أن يوحنا المعمدان قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات قال آخرون أنه ايليا ، وقال آخرون أنه نبي] وفي إنجيل مرقس أيضاً ورد مايلي : [ثم خرج يسوع وتلاميذه ـ وكانوا من اليهود قبل إتباعهم المسيح ـ إلى قرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم ماذا يقول الناس إني أنا ، فأجابوا : يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون نبي] (٢٧ ـ ٢٩ الاصحاح الثامن) . وتكررت هذه النبوءة في إنجيل لوقا ، وفي إنجيل يوحنا وردت شهادة على لسانه بالنبوة تقول بأن هناك نبي آت [وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوا من أنت فاعترف ولم ينكر وأقرأني لست المسيح ، فسألوه إذن ماذا ، ايليا أنت ، فقال لست أنا ، النبي فأجاب : لا] (١٩ ـ ٢٢ الاصحاح الأول) .

وتتوضح النبوءة أكثر في الاصحاح السابع من إنجيل يوحنا حيث يقول : [فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي , وآخرون قالوا هذا هو المسيح] (٤٠ ـ ٤١) ونلاحظ هنا أن توقع ظهور عيى عليه الصلاة والسلام كان معروفاً عند اليهود وكذلك ظهور (نبي) آخر غير عيسى ، ويأتي بالترتيب بعده كان متوقعاً أيضاً وهذا ما آمن به رجال الدين المسيحي وبعض الرهبان والقساوسة قديماً كما سنرى فيما بعد .

أما عن النبوءة الصريحة التي جاءت على لسان المسيح عليه الصلاة والسلام بظهور نبي بعده فإننا نعتمد على ما يلي : قال تعالى في القرآن الكريم ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة

ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ [الآية : ٦ سورة الصف] ثم قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [الآية : ١٥٧ سورة الأعراف] . فلنقلب صفحات أحد الأناجيل وليكن إنجيل يوحنا فإننا نجد كلا ما فيه على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول فيه [ولكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن أنا أرسله لكم ، ومتى جاء ذلك ، يبكت العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة ، أما على خطية ، فإنهم لا يؤمنون بي ، وأما على بر ، فإني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً ، وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين ، أن لي أموراً كثيرة أقولها لكم ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن ، وأما متى جاء روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم عن نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدني ، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم ، كل ما هو للأب هو لي ، لهذا قلت ، أنه يأخذ مما لي ويخبركم ، بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني ، لأني ذاهب إلى الأب] . (إنجيل لوقا ٧ ـ ١٢ الاصحاح السادس عشر) ، ولنفسر هذه العبارات :

١ ـ يرى المسيح عليه الصلاة والسلام أنه يجب أن ينطلق وأن يذهب إلى ربه وفي ذلك خير للناس لأنه سيأتي بعده (المعزى) ويقدم لهم الخير كل الخير ويقدم لذلك أسباباً :

أ ـ سيبكت العالم على خطية : لأنهم لم يؤمنوا بالمسيح وتعاليمه .

ب ـ على بر : لأنه ذاهب إلى ربه ليفوز بالمقام الحميد الذي أنزله إياه .

ج ـ على دينونة : لأنه قد أدين من قبل اليهود وظلموه في شخصه وفي أمه وفي تعاليمه ، وسيظلمونه في نهايته ، ويحكمون عليه بالموت والصلب ثم يعترفون بتحملهم دمه .

٢ ـ يذكر لهم أن هناك أموراً آتية كثيرة أقولها لكم ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن : وفي هذا إشارة إلى الرسالة المحمدية التي ستأتي بما فيها من تشريع وعبادات وتوحيد ونظم دنيوية (اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها) ولكن أوانها لم يأت بعد فلا يستطيعون في ذلك الزمان تحملها أو تلقيها .

٣ ـ ومتى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق : وعندما يحين الوقت الذي يراه الله تعالى مناسباً لنزول الرسالة المحمدية الجديدة فإنه يقدم رسالته وهي (جميع الحق) ـ أن الدين عند الله هو الدين الجديد ومصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

٤ ـ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كان ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية : فالنبي الجديد الذي سيأتي بعده ﴿ لا ينطق عن الهوى ❁ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [الآيات : ٣ ـ ٤ من سورة النجم] . فكل ما يوحى به إليه يخبركم به ويحدثكم عنه ليبلغكم إياه : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ . [الآية : ٦٧ من سورة المائدة] .

٥ ـ ذاك يمجدني : ونعرف دور القرآن الكريم وموقف الرسول محمد ﷺ من أخيه عيسى حيث دافع عنه وعن شخصه وعن أمه ضد اليهود الذين وصفوه بأنه (ابن زنى) وأنه ساحر ، دخل إلى قلبه رئيس الشياطين (بعلزبول) ، فأعاد له اعتباره ومكانته العظيمة ووضعه في أعلى منزلة : ﴿ إنما المسيح

عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [الآية : ١٧١ سورة النساء] ، فهو كلمة الله وروح منه وليس هو الله بذاته بل روح من الله ، وهو مخلوق من صنع الله وخلقه وهو رسول الله ونبيه ﴿ ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ﴾ [الآية : ٧٥ سورة المائدة] ، ونزه الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام عن الفجور والسوء بقوله : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [الآية : ٤٢ سورة آل عمران] فالنبي الجديد يمجد المسيح عليه الصلاة والسلام .

٦ ـ ذكر المسيح صفات النبي الجديد القادم بعده بأنه : روح الحق ، ولا يعني ذلك أن محمداً ﷺ هو جوهر الحق أو روحه لأنه من البشر ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ [الآية : ١٤٤ سورة آل عمران] ـ بل إن رسالته ودعوته هي جوهر الحق الازلي ، وروح من الحق سبحانه وتعالى .

كما سماه بالمعزى : وكلمة المعزى هي كلمة يونانية (باراكليت) ولها معان عديدة منها : في لغة القضاء (المحامي) أو (مستشار الدفاع) وفي اللغة اليومية (المداح) أو الحماد : أي الشخص الذي يبين الصفات الحسنة لشخص آخر وينفي عنه الصفات السيئة ، ويبين محامده ومناقبه ، فهو حامد ومحمود وحماد ومحمد وأحمد وهي الكلمة التي ذكرت في القرآن الكريم ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الآية : ٦ سورة الصف] .

ولقد ترجمت كلمة (باراكليت) من اليونانية إلى العربية بالمعنى الأول (المحامي) ودخلت الأناجيل على هذا الأساس ، وقال شراح الأناجيل أنه (الروح القدس) الذي يدافع عن قضية يسوع تجاه اليهود وأمام العالم وهذا لا

يستقيم طبعاً مع شرح الأقانيم الثلاثة (الأب ــ الابن ــ الروح القدس) فاعتقاد المسيحية الذي فرضته الكنيسة الغربية أن المسيح هو (الله) وأن الروح القدس هو (الله) أي أن كل منهما هو الله في أقنوم من أقانيمه الثلاثة ، فكيف يكون ذلك المحامي هو الله ثم يكون المسيح وهو الله أيضاً الذي سيرسل الروح القدس وهو الله ثالثاً ؟!! ، فالله يذهب إلى الله في سورة الابن ثم يجيء في سورة الله (الروح القدس) ، ثم كيف لا يتكلم من عنده (بل يتكلم بما يكون قد سمع) ، ولقد أدرك ذلك بعض شراح الأناجيل وحاولوا حل هذه المعضلة فقالوا أن الروح القدس هو (جبريل) وهذا لم يحل المعضلة بل زادها تعقيداً .

٧ ـ أما قول المسيح عليه الصلاة والسلام فإني أرسله لكم : شرح أيضاً بأن المسيح هو الذي يملك إرسال الرسل فهل يعجز الله في الدفاع عن نفسه ليرسل محامياً يدافع عنه ، وأن هذه المحاولة في الشرح لا تستقيم أيضاً إلا إذا حملت على غير ظاهرها فيكون قول المسيح عليه الصلاة والسلام : [إني أرسله إليكم] مجازاً على ذهابه إلى ربه هو السبب في إرسال المحامي أو النبي الجديد .

إننا إذا ما فسرنا تلك العبارات الواردة في إنجيل يوحنا عن النبي القادم المحامي والمدافع عن المسيح عليه الصلاة والسلام يستقيم الفهم وتتقارب الديانات باتجاه التوحيد ، توحيد الله وتوحيد المفاهيم وتوحيد العقول والقلوب .

الفصل الثاني

(صلاة محمد والمسيح)

الفصل الثاني

صلاة محمد والمسيح

كتب الكثير من المقالات والكتب عن الدين الإسلامي من قبل كتاب ورجال دين مسيحيين غربيين هاجموا فيها الإسلام ، خاصة من الناحية التشريعية ، كما كتب الكثير من المقالات والكتب عن الدين المسيحي من قبل كتاب ورجال دين مسلمين ردوا فيها عليهم وهاجموا المسيحية عقيدة وتشريعاً ، وكان الطرفان يبحثان عن نقاط الاختلاف التي تثير الخلاف وتعمقه ، فأبعدت الأديان السماوية عن بعضها ، بينما هي تسير في طريق واحدة ، ومنهج واحد ، وهدف واحد ، إذا ما أزيلت بعض المفارقات ، أو نظر إليها بمنظار فيه الاعتدال لا التطرف ، والواقعية لا الأوهام من قبل الطرفين يحدوهما السعي المخلص والدؤوب إلى التقارب واللقاء بدلاً من الفرقة والخصام .

فلنترك نقاط الاختلاف أولاً ، ولنبحث في نقاط الاتفاق والتشابه وذلك على طريق التقارب بين الأديان السماوية ، فلقد أصبح الإنسان أكثر وعياً وتطوراً من ذي قبل ، وعليه أن يتجاوز الصدام الفكري والعقائدي ، للبحث عن وحدة الفكر الإنساني .

كما أن الظروف العامة والدولية اليوم بما فيها من محاولات مشبوهة لإثارة الصراعات الدينية والطائفية بين كل الأديان السماوية ، تجعلنا نطرح هذا الاتجاه للقرن القادم من عمر البشرية على الأقل . وفي هذا المجال سنتعرض لعدد من المواضيع في مجموعة من الأبحاث علها تكون ذات فائدة ونفع للجميع :

الفصل الثاني

صلاة محمد والمسيح

كتب الكثير من المقالات والكتب عن الدين الإسلامي من قبل كتاب ورجال دين مسيحيين غربيين هاجموا فيها الإسلام ، خاصة من الناحية التشريعية ، كما كتب الكثير من المقالات والكتب عن الدين المسيحي من قبل كتاب ورجال دين مسلمين ردوا فيها عليهم وهاجموا المسيحية عقيدة وتشريعاً ، وكان الطرفان يبحثان عن نقاط الاختلاف التي تثير الخلاف وتعمقه ، فأبعدت الأديان السماوية عن بعضها ، بينما هي تسير في طريق واحدة ، ومنهج واحد ، وهدف واحد ، إذا ما أزيلت بعض المفارقات ، أو نظر إليها بمنظار فيه الاعتدال لا التطرف ، والواقعية لا الأوهام من قبل الطرفين يحدوهما السعي المخلص والدؤوب إلى التقارب واللقاء بدلاً من الفرقة والخصام .

فلنترك نقاط الاختلاف أولاً ، ولنبحث في نقاط الاتفاق والتشابه وذلك على طريق التقارب بين الأديان السماوية ، فلقد أصبح الإنسان أكثر وعياً وتطوراً من ذي قبل ، وعليه أن يتجاوز الصدام الفكري والعقائدي ، للبحث عن وحدة الفكر الإنساني .

كما أن الظروف العامة والدولية اليوم بما فيها من محاولات مشبوهة لإثارة الصراعات الدينية والطائفية بين كل الأديان السماوية ، تجعلنا نطرح هذا الاتجاه للقرن القادم من عمر البشرية على الأقل . وفي هذا المجال سنتعرض لعدد من المواضيع في مجموعة من الأبحاث علها تكون ذات فائدة ونفع للجميع :

فلا تتشبهوا بهم ، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون قبل أن تسألوه] (انجيل متى الاصحاح السادس ٨) .

٤ ـ ولقد كان المسيحيون الأوائل يفتتحون النهار بصلاة الصبح ويختتمونه بصلاة المغرب كذلك أشار القرآن مراراً إلى ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ❖ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ [الآية : ٤١ ـ ٤٢ سورة الأحزاب] وقال تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ [الآية : ٣٩ سورة ق] .

وكان بعضهم يصلي الصلاة الوسطى عند الظهر ، وأصبحت سنة عند الكثيرين من المسيحيين فيما بعد ، ولقد أشار الإسلام إلى ذلك أيضاً ، فقال تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ [الآية : ٢٣٨ من سورة البقرة] . ومع الصلواته النهارية ، أخذ أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام عنه قيام الليل للصلاة وترتيل الكتاب والزبور (الأعمال ٢١ ، ٧) .

كما أن محمداً ﷺ كان يصلي كثيراً ولا يمل أو يتعب ، وأخذ بصلاة الليل وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ يا أيها المزمل ❖ قم الليل إلا قليلاً ❖ نصفه أو انقص منه قليلاً ❖ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ [الآية : ١ ـ ٤ سورة المزمل] ويقول تعالى : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ﴾ [الآية : ٢٠] وفي سورة الإنسان يقول تعالى : ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ [الآية : ٢٦] .

ويرد في الإنجيل لوقا [وفي تلك الأيام ، خرج المسيح إلى الجبل ليصلي ، وقضى الليل كله في الصلاة لله ، وكان يصلي على انفراد] .

(١٨ ـ الإصحاح التاسع) ، وورد في نفس الإنجيل : [وقال لهم أيضاً مثلاً في أنه ينبغي أن يصلي كل حين ولا يمل](١ ـ الإصحاح ١٨) .

ومع تراكم الأحداث وانتشار للدعوة المسيحية ، أصبح للمسيحيين مواعيد للصلاة الأسبوعية (الأحد) ، وفي المناسبات الدينية المختلفة ، وهي صلاة جماعية ، أما الصلاة الفردية فصباحاً وظهراً ومساء ، ولكنها تركت للأفراد حين الحاجة ، وحين يسألون ربهم المعونة أو الرزق أو الفرج ، أما بالنسبة للمسلمين ، فأصبحت أكثر تحديداً والزاماً ، قال عز وجل : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ [الآية : ١٠٣ من سورة النساء] ، وأضحت واجباً يومياً جماعياً ، ويمكن أن يقوم بها المرء فردياً ، وهناك صلاة جماعية أسبوعية وصلوات أخرى مختلفة .

٥ ـ ويؤكد المسيح عليه الصلاة والسلام على أن الصلاة تطرد الشياطين والأرواح النجسة ، فقال في إنجيل متى عن الشيطان : [وأما هذا الجنس ، فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم] (٢١ ـ الإصحاح ١٧) والصلاة في الإسلام كما هو معروف تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتطرد الشيطان ، وتكبح جماح النفس الأمارة بالسوء . ويرد ذلك في عشر آيات قرآنية منها : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [الآية : ٢٩ من سورة العنكبوت] .

٦ ـ لقد تطورت طقوس الصلاة بتطور المجتمعات البشرية وبتطور الأديان منذ آدم عليه السلام مروراً بالأنبياء الكثيرين ، فصلاة اليهود كانت أولية أهم ما فيها (السجود) ويظهر ذلك من حوار السيد المسيح مع المرأة السامرية حول بئر يعقوب عليه الصلاة والسلام التي وهبها لابنه يوسف عليه الصلاة والسلام قرب مدينة سوخار ، وطلب منها شربة ماء فقالت له : [أنت يهودي ، واليهود

لا يعاملون السامريين] . . وفي هذا الحوار تقول للمسيح عليه الصلاة والسلام : [آباؤنا سجدوا في هذا الجبل ، وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن تسجدوا فيه ، قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه يأتي لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون . . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا] (إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع ١ ـ ٢٦) .

لقد طور المسيح عليه الصلاة والسلام طقوس الصلاة ، عما سبق من صلاة اليهود القديمة ، حيث كان يسجد لله تعالى : [ثم تقدم وخر على وجهه ، وكان يصلي] (٣٩ ـ الإصحاح ٢٦ إنجيل متى) .

وفي إنجيل مرقس ورد أنه كان يخر (على الأرض) (٣٢ ـ الإصحاح ١٤) ، فأضاف الركوع إلى السجود [وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضاً تلاميذه ، ولما صار إلى المكان ، قال لهم : صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر [وجثى] على ركبتيه وصلى . . . وإذا كان في جهاد كان يصلي وهو [جاثياً] بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازفة على الأرض] (٤٥ الإصحاح ٢٢ ، إنجيل لوقا) . وطور الدين الإسلامي الصلاة وأضاف إلى السجود والركوع (الوقوف) فاعتدلت قامة الإنسان في صلاته في بدايتها وحافظ على الركوع والسجود في منتصفها وأضاف إليها القعود في آخرها ، فيجلس المصلي بين يدي ربه مسلّماً محتسباً ، فالقيام يعني الوقوف في الصلاة المفروضة والواجبة ، هو ركن من أركان الصلاة ، لقوله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ والأصل في القيام أن يكون الإنسان منتصباً مع اعتدال ، وكل ذلك تكريماً للإنسان .

٢ ـ سورة الفاتحة :

لقد علم المسيح أتباعه الصلاة عندما طلب منه أحدهم ذلك قائلاً له : [علمنا أن نصلي كما علم يوحنا (يحيى) أيضاً تلاميذه ، فقال لهم : متى صليتم فقولوا : (أبانا) الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأتي ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ، خبرنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد ، آمين] (٩ ـ ١٥ الإصحاح السادس ، إنجيل متى) .

هذه العبارات مطلوبة من كل مسيحي أن يقرأها في كل صلاة من صلواته .

إننا إذا ما تعمقنا في دراسة هذه الكلمات ، ولم نقف عند ألفاظها السطحية والمباشرة ، فإننا نجد فيها معاني روحية سامية ، تكاد تنطق بالمعاني الروحية العظيمة التي تدلي بها سورة الفاتحة ، التي يقرؤها المسلم عدة مرات في صلواته اليومية ، فالمسلم يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم) :

الحمد لله رب العالمين : وفيها يحمد الله ويمجده ويقدسه ، ويُقرُ به ربا للعالمين في السموات والأرض ، وفي ذلك يقول المسيح عليه الصلاة والسلام : [ليتقدس اسمك] ، اسم الله [ربنا الذي في السموات] ، وهي مجازاً (أبانا) وهو رب العالمين .

الرحمن الرحيم : الله هو الرحمن بذاته والرحيم بفعله ، وملكوت الله هو الرحمة بعينها كاملة (ليأتي ملكوتك) ملكوت الرحمة ، [فاغفر لنا ذنوبنا] ولا يغفر الذنوب إلا الرحمن الرحيم .

مالك يوم الدين : مالك الأيام كلها ، أيام الدنيا وأيام الآخرة ، فالله خالقها وموجدها [فلك الملك والقوة والمجد إلى الأبد] .

إياك نعبد وإياك نستعين : فنحن نقر بالعبودية لك لأن [مشيئتك في السماء كمشيئتك على الأرض] ، وبك تستعين على شؤون حياتنا ومعاشنا [خبزنا كفافنا أعطنا اليوم] .

اهدنا الصراط المستقيم : واحمنا يارب من الانحراف عن طريقك القويم [ولا تدخلنا في تجربة] ، قاسية ولا تحملنا مالا طاقة لنا به .

صراط الذين أنعمت عليهم : وهذه الجملة بيانه للصراط المستقيم ، صراط الذين هداهم الله بنعمة الإيمان .

غير المغضوب عليهم ولا الضالين : ومن الناس من غضب الله عليهم ولعنهم بكفرهم بالله وأنبيائه ، وهؤلاء يمثلون قمة الشرور والآثام ومنهم من ضل عن سبيل الله ، فاتبع سبيل الشيطان ، وهؤلاء من الأشرار والمجرمين ، [فنجنا يارب من الأشرار] .

آمين : دعاء عند الديانتين الإسلامية والمسيحية .

وهكذا نجد أن روح الإيمان في الأديان السماوية واحدة ، وأن بني البشر إذا ما تجردوا عن الخلافات والمصالح الدنيوية ، ولم يغلفوها بالمظاهر الدينية ، نجدهم يقرون جميعاً بالعبودية لله ، فله الملك ، وله المجد ، وأنهم يقدسونه فهو ربهم (الملك القدوس) ، وأنهم جميعاً يطلبون الرحمة والغفران إن لم يكن عاجلاً فإنهم سيطلبونها آجلاً لا محالة ، فله ملكوت الرحمة ، وله الإرادة والمشيئة المطلقة كما في السماء كذلك على الأرض .

الفصل الثالث

البر والإحسان
(في الإنجيل والقرآن)

الفصل الثالث

البر والإحسان في الإنجيل والقرآن

نتناول في موضوعنا هـذا أعمـال البر والإحسـان في الإنجيـل والقـرآن ، لـنرى كيف يتفق الجميع من مسلمين ومسيحيين في دياناتهم على عمل الخير والإحسـان عوضاً عن ارتكاب الشـرور والآثـام ، وعلـى العطـف والرحمـة بـدلاً مـن الحقد والقسوة ، وعلى المحبة والتسامح ، بدلاً من الكراهية والتعصب .

وقد وضع السيد المسيح عليه الصلاة والسلام أسس عمـل الخير والمعروف للناس ، وبيّن في رسالته السماوية الأعمال الصالحات من صدقات ، وإنفـاق في سبيل المحتاجين وبيـّن لمن تكون هـذه الصدقـات ، وتحـدث عـن أجرهـا وثوابهـا ، واضعاً بذلك ، اللبنات الأولى للبر والإحسان .

ثم جاء الدين الإسلامي فتقبل هذه الأسس وأحاطها بشموليته ، ونظرته الواسعة من جهة ، كما أنه وضع لها اطراً أكثر تحديداً ووضوحاً من جهة ثانية . فلم يتركها دعوة عامة لفعل الخير المادي أو الخير الأخلاقي ، لكنه جعلها ركيزة من ركائز الإيمان ، لا تتجلى بصورتها الصادقة إلا من خلال عمل الخير قولاً وتطبيقاً .

١ ـ الأعمال الصالحات :

يواجه المسيح عليه الصلاة والسلام اليهود الذين انحرفوا برسالة موسى عليـه الصلاة والسـلام عـن جادتهـا القويمـة ووظفـوا الديـن لمصـالحهم ، ولخدمـة أغراضهم الخاصة ، مواجهة عنيفـة ، فيهددهـم حيناً ، ويتوعدهـم حيناً آخـر ،

ويكلمهم بلهجة قاسية لا تعرف مهادنة ولا تخاذلاً - فيخاطب الفريسيين قائلاً : [يا أولاد الأفاعي ، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ، فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم ، الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب الذي يخرج الصالحات] (٢٤ - ٢٥) الإصحاح الثاني عشر إنجيل متى .

ويتناول القرآن الكريم هذا الموضوع ، فيقول تعالى في المنافقين وفي اليهود مخاطباً رسوله الكريم في سورة المائدة (الآية : ٤١) : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ كما ويقول في المنافقين أيضاً : ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾ [الآية : ١٦٧ سورة آل عمران] ، وتتكرر مثل هذه الآيات في سورة الفتح ، وكل هؤلاء هم ﴿ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ [الآية : ١٥٢ سورة الشعراء] ، ويقطع الطريق على المفسدين الذين لا يعملون الصالحات فيقول تعالى : ﴿ إن الله لا يصلح المفسدين ﴾ [الآية : ٨١ سورة يونس] ، فالعمل الصالح هو للإنسان وكذلك العمل السيء ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [الآية : ٤٦ سورة فصلت] .

يتناول القرآن الكريم فكرة (الصالحات) أو عمل الصالحات والإصلاح والمصلحين والمصلحات وغيرها من مشتقات هذه الكلمة في ١٧٩ آية موزعة في عشرات السور القرآنية ، وبذلك يلم الماماً كاملاً وشاملاً بها ويتناولها من جميع جوانبها وظروفها وأحوالها ، بحيث لا يترك استزادة لمستزيد .

تتجلى الأعمال الصالحات بطلب السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من أتباعه (صنع الصدقة) الخالصة لوجه الله وليس من أجل البشر أو المنفعة ،

فيقول في إنجيل متى (الإصحاح السادس (١ـ٤) [احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند (أبيكم) الذي في السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق ، كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة] .

وفي ذلك يقول تعالى في القرآن الكريم بشأن الذين ينفقون أموالهم مراءاة للناس ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [الآية : ٣٨ سورة النساء] . بأنه أعد لهم عذاباً مهيناً .

ولا يكتفي بشجب المراءاة واستهجانها ، بل يؤكد على رفض ما يعقب الإنفاق من تبعات وعواقب فيقول في آيات متتابعة من سورة البقرة : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الآية : ٢٦٢ سورة البقرة] ، ويتكرر التأكيد على الأذى الذي يتلو الصدقة فيرفض الصدقة ذاتها : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غني حليم ﴾ ، ويجمع بين الحالتين في آية واحدة : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذي ينفق ماله رئاء الناس ﴾ أما عن جزاء الصدقة وثوابها كما ذكرها المسيح عليه الصلاة والسلام فترد في القرآن الكريم آيات عديدة تبين ذلك منها : ﴿ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم ﴾ [الآية : ١٨ سورة الحديد] . أما بالنسبة للمحسنين في القول والعمل فإن الله أعد لهم ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ [الآية : ٨٥ سورة المائدة] . ولقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تتناول الإحسان والمحسنين

والمحسنات في حوالي (١٥٠) آية شملت معظم سوره ، أما بالنسبة للصدقة والصدقات فوردت في (١٥٠) آية قرآنية أيضاً .

لقد توجه المسيح عليه الصلاة والسلام بدعوته إلى الفقراء والمساكين فيقول : [روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين ، أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب] (١٨ أنجيل متى الإصحاح الرابع) ، وفي الإصحاح السادس من الإنجيل نفسه ورد مايلي : [ورفع عينيه وقال : طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله ، طوباكم أيها الجياع لأنكم تشبعون] ، ويؤكد على مساعدة المساكين والمعوزين وذوي العاهات : [وقال للذي دعاه : إذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجوع ، العرج ، العمي ، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافؤوك ، لأنك تكافئ في قيامة الأبرار] (١٢ ، الإصحاح ١٤) . وتأتي في القرآن الكريم آيات عديدة حول إطعام المساكين : ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ [الآية : ٣٤ سورة الحاقة] ، و(ولم نك نطعم المسكين) [الآية : ٤٤ سورة المدثر] ويتكرر الحض على إطعام المساكين في سورة الفجر والمجادلة والبلد والإنسان ، ويبين كذلك صور العذاب والجحيم الذي سيواجهونه في الآخرة ، ثم يوسع القرآن الكريم مجال مساعدة المساكين والفقراء ليس بالطعام فحسب بل وبالمال أيضاً حين حضور قسمة التركات أو توزيع الثروات أو الخيرات ففي الآية ٨ من سورة النساء يقول تعالى : ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ .

يوصي المسيح عليه الصلاة والسلام بالأرامل والأيتام ، ويدعو بالويل والثبور لمن يأكل حقهم فيقول : [ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ،

لأنكم تأكلون بيوت الأرامل والأيتام ، ولعلة تطيلون صلواتكم] (١٤ إنجيل متى الإصحاح ٢٣) ، وتتأكد هذه العبارة في إنجيل مرقس أيضاً ، وجاء الاهتمام بالأيتام والأرامل على أشده في القرآن الكريم حيث يقول تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ [الآية : ٩ سورة الضحى] ثم ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ﴾ [الآية : ٢ سورة الماعون . ويحرم على المسلمين أكل أموال اليتامى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ [الآية : ١٠ سورة النساء] . وتتوالى الآيات الكريمة حول اليتامى في ٣٣ آية قرآنية منتشرة في عدد من سور القرآن الكريم لتؤكد على دعوة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام في موضوع البر والإحسان ، وليتناولها الإسلام بشمولية أوسع وتفاصيل أكثر دقة وتحديداً .

٢ ـ دولة الأغنياء :

يحض المسيح عليه الصلاة والسلام على الإنفاق وعلى الإحسان إلى الفقراء وذوي العاهات والمحتاجين ، فيقول في الإنجيل واعظاً أحد الشباب : [إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء ، وتعال واتبعني ، فلما سمع الشاب الكلمة مضى يائساً مهموماً لأنه كان ذا أموال كثيرة] (٢١ ـ ٢٢ الإصحاح التاسع عشر إنجيل متى) . ويتناول القرآن الكريم الإنفاق والإحسان إلى الفقراء بالعناية ويشجع عليه ويجعل لأصحابه مكانة عالية ومنزلة كبيرة ، ويضاعف لهم أجرهم وثوابهم ، فيجعل الإنفاق عنواناً للبر والإحسان ، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾ [الآية : ٩٢ سورة آل عمران] .

أما الجهاد بالأموال والنفس في سبيل الله وهو باب رئيس من أبواب الإنفاق فإن القرآن الكريم يخصه بالعناية أيضاً ، ويقول تعالى : ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ [آية : ٩٥ سورة النساء] . بل إن لهم ﴿ أعظم درجة عند الله ﴾ [الآية : ٢٠ سورة التوبة] . ويرد الجهاد بالأموال والأنفس في (٢٧) آية ، كما يرد الإنفاق وأجره وثوابه في (٧٢) آية في القرآن وورد ذلك في الإنجيل في تلك العبارات التي ذكرناها سابقاً ، وهي مع ذلك تكون لبنة من لبنات الدين الواحد والمتكامل ، بنى عليها لبنات أخرى جاء بها الدين الإسلامي لبنيان الدين القويم .

يقدم المسيح عليه الصلاة والسلام في تعاليمه مقولات أخرى جديرة بأن تكون قواعد سلوكية يطبقها الأخوة المسيحيين في دنياهم فيقول : [لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء ، حيث لا يفسدها سوس ولا صدأ] (١٩ ـ ٢٠ الإصحاح السادس ، إنجيل متى) .

يؤكد على ذلك القرآن الكريم ويضيف إلى الترغيب عنصر الترهيب والتهديد أيضاً ، فيقول تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ❖ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ [الآية : ٣٤ ـ ٣٥ سورة التوبة] .

وبعد الحث على الإنفاق والنهي عن كنز الأموال ، يتوجه المسيح عليه الصلاة والسلام إلى الأغنياء اليهود بخطابه : [ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم نلتم عزاءكم ، ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون] (٢٤ ـ ٢٥ الإصحاح

السادس ، إنجيل متى) . ويجرد القرآن الكريم الأغنياء من مالهم وثرواتهم وأولادهم التي لن تنفعهم شيئاً عند الله ، يقول تعالى : ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ﴾ [الآية : ١١٦ سورة آل عمران] ، كما أن الغني سيقول يوم القيامة ﴿ ما أغنى عني ماليه ﴾ [الآية : ٢٨ سورة الحاقة] ، وعن أبي جهل الغني (عم الرسول ﷺ) فيقول عنه ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ [الآية : ٢ سورة المسد] .

ويذكر القرآن الكريم الغني والأغنياء في [الآية : ٢٠] من آيات القرآن الكريم ، ثم ترد العبارة [لن تغني عنهم أموالهم . . . من الله شيئاً] في أقوال المسيح عليه الصلاة والسلام عندما يحذر الناس من الطمع ويقول : [وقال لهم انظروا وتحفظوا من الطمع فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله ، وضرب لهم مثلاً عن رجل غني فقال : هكذا كنز لنفسه وليس هو غني لله] (١٥ ـ ٢١ إنجيل لوقا الإصحاح الثاني عشر) فالله هو الغني ، والناس هم الفقراء : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد ﴾ [الآية : ١٥ سورة فاطر] ونحن نعلم أن معظم الأغنياء في العالم هم من اليهود الذين يتحكمون بالثروات والأموال الطائلة ويسيطرون على عدد من كبريات بنوك العالم ومصارفه ، كما أنهم لا يتوقفون عن امتصاص دماء الفقراء والشعوب الفقيرة ، وإن وجد بعض الأغنياء في العالم أيضاً من غير اليهود فإنهم على دين وطباع اليهود في عبادة المال ، وقال عنهم المسيح عليه الصلاة والسلام : [لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال] (١٣ إنجيل لوقا الإصحاح السادس عشر) .

أما في القرآن الكريم ، فلقد قال الأغنياء قولتهم المشهورة منذ القديم ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ [الآية : ١٨١ سورة آل عمران] .

ويهاجم القرآن الكريم الأغنياء البخلاء في كل مناسبة يدعو فيها إلى أعمال البر والإحسان في اثني عشر موضعاً وموقفاً ، ويقول تعالى : ﴿ ها أنتم تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء ﴾ [الآية : ٣٨ سورة محمد] ، ويهددهم بالعذاب المهين : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ [الآية : ٣٧ سورة النساء] ، وهؤلاء طبع الله على قلوبهم وشلت أيديهم عن أعمال البر والإحسان : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ [الآية : ١٠٠ سورة الإسراء] . ويتفق الإنجيل والقرآن كما رأينا وكما سنرى لاحقاً في كثير من الأسس والقواعد الدينية ، يتفقان كذلك في بعض الأحيان في العبارات نفسها بشكل عجيب وملفت للنظر ، مما يدل ويثبت وحدة الأديان التي تدعو إليها وإلى تقاربها وانسجامها . ففي إنجيل متى وكذلك في إنجيل مرقس وفي إنجيل لوقا ترد أقوال المسيح عليه الصلاة والسلام حول الأغنياء والجنة وملكوت السموات : [قال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضاً أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله] (٢٢ - ٢٣ - ٢٤ إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر) . ويتفق القرآن الكريم والإنجيل على أن الأغنياء واليهود والمكذبين بتعاليم المسيح عليه الصلاة

والسلام والنبي محمد ﷺ يعسر عليهم دخول الجنة كما قال المسيح عليه الصلاة والسلام ولن يدخلوها كما قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين ﴾ [الآية : ٤٠ من سورة الأعراف] .

ونلاحظ أخيراً فيما يخص الأغنياء ، والسيطرة على المال والمكاسب والمغانم ، أن الله سبحانه وتعالى يحذر من تراكم الأموال بين أيدي الأغنياء ، لذلك فإنه يحرمهم من الانتفاع بالغنائم والفيء منذ بداية نشوء الحكم الإسلامي على يد رسوله الكريم فيقول في [الآية : ٧ من سورة الحشر] ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ والأمر الذي جرى ويجري في معظم بلدان العالم اليوم أن المال والثروة لم تعد (دولة) بين أيدي الأغنياء فقط ، بل أصبحت (دولة المال) ، دولة الأغنياء ، وأصبح الحكم والسيطرة على مقدرات الشعوب وثرواتهم بين أيدي الأغنياء وعلى رأسهم أغنياء اليهود الذين يخططون لحكم العالم بالذهب والمال .

٣ ـ الزكاة :

وهي جانب آخر وهام من موضوع البر والإحسان في الإنجيل والقرآن ، هو في قمة الأعمال الصالحات ، من حيث المقارنة بين فاعلي الخير ومن حيث الأجر والثواب .

ففي أحد الأيام عندما كان المسيح يعلم الشعب في الهيكل ويبشر برسالته ، جرى حوار بينه وبين كهنة اليهود ، استطاع فيه أن يقنع الشعب بدعوته وتعاليمه ، ما عدا أولئك الكتبة والفريسيين والأغنياء : [تطلع فرأى الأغنياء

يلقون قرابينهم في الخزانة (خزانة الهيكل) ورأى أيضاً امرأة أرملة مسكينة ، ألقت هناك فلسين ، فقال : بالحق أقول لكم ، إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع ، لأن هؤلاء من فضلتهم القوا في قرابين الله ، وأما هذه فمن أعوازها القت كل المعيشة التي لها] (١ ـ ٤ الإصحاح ٢١ إنجيل لوقا) .

هذه اللفتة الكريمة التي يشير إليها المسيح عليه الصلاة والسلام أصبحت قاعدة من قواعد العمل الصالح في الإسلام ، فإنفاق المال وإن كان قليلاً فاجره عظيم عند الله ، كما أن من لا يستطيع الإنفاق أو إعطاء الصدقة فليس عليه حرج في ذلك ، ويقول تعالى في القرآن الكريم ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ﴾ [الآية : ٩١ من سورة التوبة] . وهؤلاء المحسنون الذين لا يجدون سبيلاً إلى الإحسان يصفهم القرآن الكريم ويصف موقفهم هذا بارق العبارات فيقول : ﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ [الآية : ٩٢ من سورة التوبة] .

لقد وسع الإسلام المجال للإحسان وجعله رحبا لا حدود له ، في أي عمل بين الناس لبعضهم وللجماعات والمجتمع ، فجعل لرد السلام حسنة ولإماطة الأذى عن الطريق حسنة ولكل فعل فيه الخير والبر للناس ، جعله صدقة لها أجرها وثوابها ، وكل نفقة صغيرة أو كبيرة وكل جهد أو عمل في سبيل الله هو من الأعمال الصالحات ، وفي سورة التوبة نفسها يقول تعالى في [الآية ١٢١] ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

وهكذا نجد أن إنفاق المال لا يكون إلا من النفس الزكية الطاهرة أو التي تريد أن تتطهر ، وبها يطهر مال الإنسان وحياته وعمله .

لقد قال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ [الآية : ٩ ـ ١٠ من سورة الشمس] ، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لتزكية النفس الإنسانية والارتفاع بها من أسفل سافلين إلى أعلى عليين إلى قمة السعادة الإنسانية الحق ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ﴾ [الآية : ١٥١ سورة البقرة] فالتزكية هي تزكية النفس أولاً بعمل المعروف والخير ، ثم هي تزكية المال والأملاك والثروة ثانياً بالإنفاق منها للمعوزين .

لقد وضع المسيح عليه الصلاة والسلام الأساس الراسخ للتزكية (تزكية المال وتزكية النفس) ولتطهير الثروة والأملاك ، وطرح بذلك فكرة الخلاص من الناحية الروحية ومن الناحية المادية ، فلقد ورد في إنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر من (١-١٠) ما يلي : [دخل يسوع إلى بيت رئيس العشارين اسمه (زكا) وكان غنياً ، ليبيت عنده ، فتذمر تلاميذه قائلين أنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ ، فوقف (زكا) وقال ها أنا (يارب) أعطي نصف أموالي للمساكين ، وإن كنت قد أكلت مال أحد أرده أربعة أضعاف ، فقال يسوع : اليوم حصل خلاص لهذا البيت] . إن هذا الخلاص هو تزكية للرجل وماله ولبيته ، وهو القاعدة الأساسية التي اعتمدها الإسلام ، وفرق بينها وبين الصدقات ، فالصدقات عمل تطوعي للمعروف بشكل عام وغير محدد وله أجره ، أما التزكية أو (الزكاة) ، فهي (عمل صالح وفعل خير ودعوة للمعروف) ولكنها لم تترك تطوعاً وتفضلاً وتكرماً بل جعلها فريضة على الأغنياء ، ليكفل بها حاجات المجتمع وحاجات أفراده ، من خلال تنظيم العلاقات المالية والإدارية لإنفاق الدولة ، ولها كذلك

أجرها وثوابها ولها عقابها غير الصدقة التي لها أجرها وليس لها عقاب لمن لا يقوم بها . وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ [الآية : ١٠٣ من سورة التوبة] .

وقد أشار سبحانه وتعالى قد أشار إلى ذلك في آيات سابقة في بداية الدعوة الإسلامية ، وظهور الدين الجديد ، فقال في سورة الذاريات ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ ثم أشار إلى ذلك مرة أخرى وبصورة محددة فجعل هذا الحق معلوماً حيث قال : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم ❖ للسائل والمحروم ﴾ [الآية : ٢٤ ـ ٢٥ سورة المعارج] .

لقد وردت آيات عديدة عن التزكية والزكاة بلغت حوالي (٦٠) آية وقرن سبحانه وتعالى الصلاة بالزكاة فجاءت بعدها مباشرة لما لها من أهمية كبيرة في المجتمع الإسلامي ، ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ـ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ـ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ ، ثم وضع الرسول الكريم حدود الزكاة والمجالات التي تؤخذ منها إلى بيت مال المسلمين لتكون بمثابة الخزانة العامة للدولة تصرف أموالها في بعض الأوجه التي حددها الإسلام أولاً وثانياً من أجل نفقات الدولة بما لا يخالف الشرع الإسلامي من أوجه الإنفاق وسبله ووسائله .

وبتطور المجتمع الإسلامي وتغير أحواله واتساعه ووفرة الخيرات التي أنتجها أو وفدت إليه ، وبتنوع تلك الخيرات وضعت التفاصيل والجزئيات والإجراءات التي طبقت من أجل تنظيم تزكية المال وطرق تحصيلها وإنفاقها وذلك لفترة طويلة من الزمن ، ثم توقف هذا الأمر في معظم الأقطار العربية والإسلامية ، في بداية القرن

التاسع عشر ونهج معظمها النهج الحديث في القوانين المالية وغيرها ، فاختفت الزكاة كضريبة مفروضة على المواطنين ولم تعد مورداً رئيسياً من موارد الدولة ، وتركت للناس بدون رقيب أو حسيب مثلها مثل باقي الصدقات الطوعية .

إن المهم هنا هو أن معظم الرسل السابقين قد أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى الناس لتزكيتهم روحياً ومادياً ، فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو ربه قائلاً : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [الآية : ١٢٩ سورة البقرة] ، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام يخاطب قومه قائلاً : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ [الآية : ٤٣ سورة البقرة] .

كما أن المسيح عليه الصلاة والسلام يقول في القرآن الكريم : ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً ﴾ [الآية : ٣١ سورة مريم] ويقول عنه سبحانه وتعالى : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ [الآية : ٥٥ سورة مريم] .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

١ ـ (في العقاب) : تحريم الجنة على المشركين بالله .
٢ ـ (في القصاص) : تحريم قتل النفس الإنسانية إلا بالحق .
٣ ـ (في العلاقات الاجتماعية) : تحريم الزواج أو الاتصال الجنسي ببعض النساء (الأم البنت الأخت الخالة العمة . . . الخ) .
٤ ـ (في الطعام والشراب) : تحريم أكل لحم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله .
٥ ـ (حالة خاصة) : تحريم صيد البر ما دام المسلمون حرما .
٦ ـ (حكم عام) : تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحريم الخبائث .

أما بالنسبة للخمر فلقد وردت فيها (٤) آيات تناولت الموضوع بصورة متدرجة تمهيداً لتحريمها :

١ ـ الخمر فيها إثم كبير ومنافع للناس والإثم أكبر ، الآية : ٢١٩ سورة البقرة . ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ .
٢ ـ الخمر تذهب بالوعي ، ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ [الآية : ٤٣ سورة النساء] . ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ .
٣ ـ الخمر توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، [آية : ٩١ سورة المائدة] . ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ .
٤ ـ الخمر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه [الآية : ٩٠ سورة المائدة] ﴿ يا أيها الذين أمنوا ، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان

الفصل الرابع

الخمر حرام في المسيحية والإسلام

الخمر حلالها وحرامها ، موضوع قديم جداً نقدمه اليوم بدراسة ورؤية جديدة ، فلقد سبق وبحثه العلماء والدارسون ، والمشرعون من رجال الدين وغيرهم من عرب وأجانب بالتفصيل وتوصلوا إلى أحكام قطعية ونهائية فيه ، ألا وهو موضوع (تحريم شرب الخمر أو التعامل معها في الدين الإسلامي ، وتحليل شربها وتعاطيها والاتجار بها في الدين المسيحي) ، والسؤال الذي يطرح نفسه دائماً على الدارس والباحث في الأديان السماوية هو : إذا كانت الأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) أدياناً سماوية من إله واحد ، فلماذا تختلف فيما بينها ؟ وإذا كانت هناك بعض الخلافات فمن أين جاءت ؟ وهل يمكن حل تلك الخلافات ؟ وذلك بالعودة إلى النصوص الدينية المتوفرة لدى الأديان الثلاثة والتي هي موجودة في أيدينا على الرغم من الملابسات والمداخلات .

إننا نقول أن الخمر محرم شربها في المسيحية وفي الإسلام على حد سواء على الرغم من أن الجميع يعرفون أن شرب الخمر في المسيحية حلال أو مسموح بها بعكس الإسلام . فكيف تم تحريمها في الإسلام وكيف تم تحليلها في المسيحية ؟

الخمر في الإسلام :

وردت نصوص التحريم القطعية والصريحة في القرآن الكريم في أمور عدة وبصيغة (الحرام) على الشكل التالي :

فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ . ولرب قائل يقـول مـن الأخـوة المسيحيين : لـم تحرم الخمر في الإسلام تحريماً قطعياً كما حرمـت الأمـور الأخـرى المشار إليهـا سابقاً بالنص القرآني الصريح ، والقرآن هو المصدر الأساسي للتشـريع ، إنمـا ورد النهـي عنهـا واجتنابهـا فقـط ، والطلـب إلـى المسـلم عـدم الاقـتراب مـن الصـلاة إذا تنـاول الخمـر ووصـل إلـى حالـة السـكر ، حتـى يعـود إلـى رشـده ووعيه ، أن الـرد علـى ذلـك والـذي يسـتند إليـه المشـرعون يـأتي في الآيتـين الكريمتين : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطـن ﴾ [الآيـة ٣٣ سورة الأعراف] . وفي الآية الكريمـة ﴿ ويحـل لهـم الطيبات ويحـرم عليهـم الخبائث ﴾ [الآية : ١٥٧ سورة الأعراف] ، فاعتبر الخمـر رجس مـن عمـل الشيطان ، وبالتالي فإنها من الخبائث وقـد حـرم الله الخبائث ، كمـا أن هنـاك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة والتي تـنص صراحـة علـى تحريـم الخمـر من شرب قليل أو كثير أو تعاطي أو تجـارة الـخ إلا مـا اضطـر الإنسـان إليـه في حـالات محـدودة بينتهـا الشـريعة الإسـلامية . وهكـذا نجد أن معالجة قضيـة شرب الخمر عند المسلمين جاءت بالتدريج وليس دفعة واحدة فقام أولاً بعقـد مقارنة بين فوائد الخمر وأضرارها ، فأقر أن فيها بعض المنافع للناس ولم يبـين هذه المنافع وفيها أضرار تتبعها آثام عديدة تفوق فوائدها .

فكانت الآية المذكورة سابقاً مقدمة توحي للنـاس بالابتعـاد عـن الشـيء الـذي أضراره أكثر من فوائده .

وبعد ذلك تم الطلب إلى المسلمين عدم القيام بالصلاة وهم في حالـة السـكر ، حتى يعـودوا إلـى وعيهـم ، وفي هـذا الامتنـاع عـن تنـاول الخمـر حتـى درجـة السكر وأن يظلـوا محـافظين علـى وعيهـم ، وبالتـالي فـإن أوقـات الصـلاة الخمسة لن تفسح لهم المجال لتناول الخمر والسكر به .

نجد هذه العبارة الدينية المسيحية على لسان المسيح عليه الصلاة والسلام ، ولا على لسان غيره .

ب - يرى بعض رجال الدين المسيحي أن كل الطعام وكل الشراب ليس فيه نجاسة ، وبالتالي لا يوجد طعام أو شراب محرم ، ويعتمدون في ذلك على ما يلي : ورد في إنجيل متى حادثة لقاء بين المسيح وبعض رجال اليهود جاء فيها : [جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً . . . فقال لهم المسيح : ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان ، فأجاب بطرس وقال له فسر لنا هذا المثل ، فقال لهم يسوع هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين ألا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج ، وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذاك ينجس الإنسان لأن من القلب تخرج أفكار شريرة : قتل - زنى - فسق - سرقة - شهادة زور - تجديف . هذه هي التي تنجس الإنسان ، أما الأكل بأيدي غير مغسولة فلا ينجس الإنسان] (١ - ٢٠ إنجيل متى الإصحاح ١٥) .

وهكذا نجد أن المسيح عليه الصلاة والسلام لم يتعرض للطعام والشراب بحد ذاتهما ، وهذا المثل الذي ضربه مثل معنوي يرد فيه على اليهود عن (الطهارة) طهارة القلب وعن (النجاسة) نجاسة القلب ، وليست طهارة أو نجاسة الأيدي .
وهذا من جهة ومن جهة أخرى تناول (بولس) هذا الموضوع من ناحية الطعام والشراب وحض على عدم تناول الخمر وقال في رسالة إلى أهل رومية [إن عالم متيقن في الرب يسوع - والرب هنا تعني المعلم - أن ليس شيئاً نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس ، فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست

تسلك بعد حسب المحبة : لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله ، لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً . . . لا تنقض لأجل الطعام عمل الله . . . حسن أن لا تأكل لحماً (وتشرب خمراً) ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف] (١٤ ـ ٢١ بولس الإصحاح الرابع عشر) . وهذا المعنى قريب من معنى الضرر والإثم في شرب الخمر في الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

جـ ـ اتهام المسيح بشرب الخمر : أورد المسيح مثلاً أيضاً فقال : [وبمن أشبه هذا الجيل ، يشبه أولاداً جالسين في الأسواق ينادون إلى أصحابهم ويقولون زمرنا لكم ، فلم ترقصوا ، نحنا لكم فلم تلطموا ، لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون فيه شيطان ، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب ، فيقولون هو ذا ابن الإنسان (المسيح) أكول وشريب خمر ، محب للسارقين والخطاة ، والحكمة تبررت من بنيها] (١٦ ـ ١٩ إنجيل متى الإصحاح الحادي عشر) .

وللرد على ذلك نقول : ـ أن شرب المسيح للخمر جاء على لسان ذلك الجيل الفاسق الفاسد الذي طالما هاجمه المسيح عليه الصلاة والسلام وأنبه وزجره ونصحه ، فهو اتهام باطل حقاً . كما أن الأناجيل الأربعة لم تتفق كلها على عبارة (شريب خمر) ، فلم ترد في إنجيل مرقس مثلاً .

د ـ شهادة يوحنا المعمدان :

لم يكن يوحنا المعمدان يشرب الخمر : [لأنه سيكون عظيماً أمام الرب ، خمراً أو مسكراً لا يشرب] (١٥ لوقا الإصحاح الأول) .

وهذا ثابت في كل الروايات ، بل كان [يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ، ويأكل جراداً وعسلاً برياً] (٦ ـ ٧ إنجيل مرقس الإصحاح الأول) ،

وكما هو معروف ومسلم به أن المسيح عليه الصلاة والسلام أعظم من يوحنا المعمدان منزلة إلهية ورسالة دينية ، وكان يوحنا يبشر بمجيء المسيح ويدعو إليه ، وفي ذلك يقول : [ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه] (١١ - إنجيل متى الإصحاح الثالث) . وعندما ذهب المسيح ليتعمد من يوحنا المعمدان ، ترد العبارة التالية : [حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أتعمد منك وأنت تأتي إلي] (١٣ - ١٤ إنجيل متى الإصحاح الثالث) . فهل يعقل أن يشرب السيد المسيح الخمر وهو أعظم من يوحنا المعمدان الذي لم يشربه ولم يهتم بالطعام أو الشراب أو اللباس ولا بأمور الدنيا الأخرى ، فهذا إذا اتهام باطل .

هـ - المعجزة الأولى :

وردت قصة في إنجيل يوحنا عن الخمر ، حيث جعل يوحنا أول آية يقدمها المسيح للناس كانت مع الخمر ، وذلك عندما حضر المسيح عرساً في الجليل ، ونفذ الخمر عند أصحاب العرس ، فقالت أمه (أم يسوع) للمسيح : ليس لهم خمر ثم أمرت الخدام أن يملؤوا الأجران ماء وكان المسيح يقلبها خمراً يسكر منه الناس في العرس ، ويقول يوحنا في إنجيله : [هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل ، وأظهر مجده] (١١ - إنجيل يوحنا الإصحاح الثاني) . والغريب أن يوحنا يجعلها في مقدمة إنجيله في الإصحاح الثاني ويجعلها أول معجزة من معجزات المسيح بل ويشرك أمه (مريم) عليها السلام في هذه المعجزة . وبالتدقيق في النصوص الدينية المسيحية المشار إليها سابقاً لم ترد هذه الرواية

لامن قريب ولامن بعيد في أي من الأناجيل الثلاثة الأخرى . بينما وردت في انجيل يوحنا على الشكل التالي :[وفي اليوم الثالث ، كان عرس في قانا الجيل وكانت أم يسوع هناك ، ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ، ليس لهم خمر ، قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة ، لم تأت ساعتي بعد . قالت أمه للخدام : مهما قال لكم فافعلوه ، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود ، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة ، قال لهم يسوع : إملأوا الأجران ماء ، فملأوها إلى فوق . ثم قال لهم : استقوا الآن ، وقدموا إلى رئيس المتكأ . فقدموا ، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ، ولم يكن يعلم من أين هي ، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا . دعا رئيس المتكأ العريس ، وقال له : كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ، ومتى سكروا فحينئذ الدون ، أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن . هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه] (١ ـ ١٢ الاصحاح الثاني ـ إنجيل يوحنا) .

تحليل شرب الخمر للمسيحيين :

جاء تحليل شرب الخمر للمسيحيين بعد أن امتنع المسيح عن شربه على الشكل التالي :

أ ـ بعث (بولس) في رسالته الأولى إلى أهل (كورونثوس) يقول فيها : [أما الآن فكتبت إليكم أن كان أحد مدعو أخا زانيا أو طماعاً ، أو عابد وثن ، أو شتاما أو (سكيرا) أن لا تخالطوه ولا تؤاكلوا مثل هذا] (٩ ـ ١٢) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ضرر الخمر وأثمه في الآية ٩١ من سورة

المائدة ، حيث نهي المسلمين عن شرب الخمر التي توقع العداوة والبغضاء بين الأخوة والأهل وغيرهم .

ب - ثم أرسل (بولس) رسالة إلى أهل (افسس) يقول فيها : [ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلؤوا بالروح] (١٨ - الإصحاح الخامس) .

جـ - حدث بعد ذلك أن احتجت معظم تلك الشعوب الوثنية في شمال سورية واليونان والبلقان التي كان الدعاة والرسل ينشرون فيها الديانة المسيحية ، على رسائل بولس إلى إتباعه حول النهي عن الخمر فكتب إليه (ثيموثاوس) يشرح ذلك كما يبين له أنه شخصياً يستعمل الخمر لمداواة مرضه ، فكتب إليه بولس قائلاً : [لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة] (تيموثاوس ٢٣ - الإصحاح الخامس) . وذلك حتى لا يضع عثرة سببها الطعام أو الشراب في وجه الشعوب والأمم التي دخلت الدين المسيحي ولكنه يعود فيكتب إليهم مرة أخرى ، إلى (أهل كورونثوس) ينهاهم عن كثرة تناول الخمر والوصول إلى درجة السكر ، فيقول لهم : [يخرج السكير من ملكوت الله] (١٠ ـ الإصحاح السادس) ، ويحاول أن يجعل من شرب الخمر رمزاً لدم المسيح وليس حاجة جسدية فيورد في رسالته تلك ، في الإصحاح الحادي عشر -٢٥- على لسان المسيح عبارة [اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري] وهذه إضافة من عنده وليست من كلام المسيح عليه الصلاة والسلام .

د - أما بطرس فإنه يتعرض لذكر الخمر مع مجموعة من الآثام المختلفة في رسالته الأولى ألا يكونوا كالأمم الأخرى [سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان] (٢ - الإصحاح الرابع) ، وهذه

الفواحش يرد النهي عنها في القرآن الكريم حيث يقول تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الآية : ٣٣ سورة الأعراف] .

وهكذا نجد أن الدين المسيحي يعالج أيضاً موضوع شرب الخمر متدرجاً للوصول وغايته الامتناع عن تناوله على الشكل التالي :

١ ـ إن من الأعمال الحسنة عدم تناول الخمر وشربه (حسن أن لا تأكل لحماً وتشرب خمراً) فيحدث الناس على ذلك ومعروفة هي أضرار اللحوم وأضرار الكحول من الناحية الصحية .

٢ ـ الطلب إلى المؤمنين بالمسيح ورسالته أن يمتنعوا عن معاشرة السكرين وحتى تناول الطعام معهم حتى لا يتناولوا الخمر مع طعامهم (أن لا تخالطوه ولا تؤاكلوا مثل هذا) .

٣ ـ عدم تناول الخمر إلى درجة السكر لأنها حالة تدفع إلى الخلاعة وبالتالي إلى المجون والفسق (الخمر الذي فيه الخلاعة) فوضع الادمان مع الدعارة والشهوات وعبادة الأوثان .

٤ ـ إن كان لابد من استعمال الخمر فمن أجل المداواة من الأمراض والعلل التي لاشفاء منها إلا بالكحول وهذه حالة تقبل بها الشرائع وتستخدم في الميادين الطبية والصحية .

٥ ـ وأخيراً يحكم الدين المسيحي على أن السكير والمدمن على تناول الخمر سوف لن يكون من أتباع المسيحيين ولا من رعايا الكنيسة ولن يدخل إلى ملكوت السموات مع الأبرار .

ولكن تلك النصائح لم يلتزم بمعظمها عامة الناس من مسلمين ومسيحيين منذ مئات السنين وحتى اليوم .

تـحريم المسيح للخمر :

وردت العبارات التالية في الأناجيل الأربعة وعليها بعض الإضافات بمعظمها في إنجيل لوقا ، ولكنها تتفق كلها على ما يلي : يقول المسيح لتلاميـذه في العشاء الأخير بعد النصائح وبعد التنبؤ بتسليمه من قبـل أحد تلاميـذه لليهـود : [أقـول لكم إني من الآن لا أشرب مـن نتاج الكرمة هـذا إلى ذلك اليوم حيث أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي] (٢٩ إنجيل متى الإصحاح ٢٦) .

وعلى فرض أن المسيح عليه الصلاة والسلام ، كان يشرب الخمر (جدلاً) كما قال عنه الجيل الفاسد فإنه في هـذا النص وفي هـذه الكلمات من كلماته لـم يحرم الخمر تحريماً قاطعاً بـالنص الصريح ولكنه دعا إلى وجوب الامتناع عن شربها ، وإلى أنه لن يشربها مع أتباعه مرة أخرى إلا في الآخرة حيث سيشربها (جديدة) . وكان حرياً بتلاميذه وأتباعه والمسيحيين جميعاً أن يمتنعوا عن شرب الخمر في الدنيا ويؤخروا ذلك إلى ملكوت الله وجنته حيث يشربونها جديدة بطعمها ورائحتها ولونها ، لتبعث النشوة السماوية الصافية البعيدة عن الآثام والشرور لكي يمتلئوا بالروح القدس . ولقد دعا الدين الإسلامي إلى مثل ذلك كالدين المسيحي ولكن الصحابة والتابعين لم يتهاونوا بشأن شرب الخمر ولم يعملوا على إباحتها كما فعل بعض أتباع المسيح ورسله أثناء التبشير .

وَعَدَ الإسلام المسلمين في الحياة الآخرة كما وَعَدَ المسيح أتباعه بشرب الخمر السماوية حيث يقول تعالى عما ينتظرهم في الآخرة : ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ [الآية : ١٥ من سورة محمد] وفي الجنة يتناولونها دون حرج ﴿ يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ [الآية : ٢٣ من سورة الطور] ،

وستكون تلك الخمر ذات مزاج لا مثيل له : ﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ [الآية : ١٧ من سورة الإنسان] .

أما الأبرار من المسلمين فإن لهم خمراً أخرى ، ذات مزاج خاص تبعث النشوة واللذة للشاربين ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ﴾ [الآية : ٥ من سورة الإنسان] .

جدير بالذكر أن نشير إلى أن هناك بعض الأخوة من المسيحيين لا يشربون الخمر في الحياة الدنيا وينتظرون شربها مع السيد المسيح عليه الصلاة والسلام في ملكوت الله مثل :

١ ـ بعض أقباط مصر .

٢ ـ بقايا أتباع المذهب النسطوري .

٣ ـ بقايا أتباع المذهب الأبيوني (الأبيونيين ـ الفقراء) .
المتمسكين بروح تعاليم المسيح عليه الصلاة والسلام

٤ ـ جماعات مسيحية متفرقة منتشرة في أوربا وفي أمريكا .

وهكذا نجد أن الخمر محرمة في المسيحية والإسلام على حد سواء وإننا نسير معاً على طريق التقارب بين المسيحية والإسلام إن شئنا هذا التقارب وعملنا من أجله معاً بصدق وإخلاص .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

الفصل الخامس

تحريم لحم الخنزير وذبيحة الأوثان
(في المسيحية والإسلام)

الفصل الخامس

تحريم لحم الخنزير وذبيحة الأوثان
في المسيحية والإسلام

كان لحم الخنزير وما يزال عند اليهود محرماً ، حسب شريعة موسى فاليهود يعتبرونه في توراتهم رجساً : [لا تأكلوا شيئاً من لحمها وميتتها ، لا تمسوها فإنها نجسة] ، وذلك كما ورد في الأخبار (١١ ـ ٧) وورد في تثنية الاشتراع (١٤ ـ ٨) ولقد ظل المسيحيون الأوائل فترة من الزمن وعند مختلف الشعوب يسيرون حسب شريعة موسى ، فكانت هناك بعض الأطعمة المحرمة ، وكذلك بعض أنواع اللحوم والشحوم من القرابين الخ . . .

إلا أن الخلاف الذي كان دائراً بين المسيحيين واليهود حول شريعة موسى وحول المحرمات من الطعام كما قال القرآن الكريم : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ﴾ [الآية : ٩٣ سورة آل عمران] . ثم جاء المسيح عليه الصلاة والسلام ليحل لهم بعض الطعام : ﴿ ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [الآية : ٥٠ سورة آل عمران] .

ولقد أحل تلامذة المسيح والمبشرين الأوائل أشكال الطعام والشراب كافة ، حيث جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية في الإصحاح الرابع عشر (١٤ ـ ١٩) : [إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيئاً نجساً بذاته ، إلا من يحسب

شيء نجساً فله هو نجس فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن ، فلست تسلك بعد حسب المحبة لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله . . . . لا تنقض لأجل الطعام عمل الله ، كل الأشياء طاهرة ، لكنه شر للإنسان الذي يأكل بعثرة ، حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ، ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يغضب] وورد في إنجيل متى الإصحاح الخامس عشر (١١ ـ ١٧) [ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان . . . إن كل ما يدخل إلى الفم يمضي إلى الجوف ، ويندفع إلى المخرج . .) كما ذكرنا سابقاً .

وورد في إنجيل مرقس ، الإصحاح السابع (١٤ ـ ٢٠) : [ليس شيئاً من خارج الإنسان إذا دخل فيه أن يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان . أما تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه ، لأنه لا يدخل إلى قلبه ، بل إلى الجوف ، ثم يخرج إلى الخلاء ، وذلك يطهر كل الأطعمة] .

لقد ظل النصارى من بني إسرائيل ، بخلاف المسيحيين ، يعتبرون لحم الخنزير رجساً في أحكام التوراة ، فأخذوا بتحريمه ، وظل سائداً عند جماعات أخرى عديدة حتى اليوم ، فلا يأكلون اللحم بأشكاله المختلفة من خنزير وغيره .

وكان الخنزير في الأناجيل الأربعة محتقراً ومذموماً ويعد من أسوأ الحيوانات وأسفلها ومن الأحرى اجتنابه واجتناب تربيته أو أكل لحمه ، فلقد ورد في إنجيل متى : [ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها ، وتلتفت فتمزقكم] الإصحاح السابع ـ ٦ ـ ، وحتى الشياطين عندما أخرجها المسيح من أجساد الخطاة : [فالشياطين طلبوا إليه قائلين ، إن كنت تخرجنا فإذن لنا أن

نذهب إلى قطيع الخنازير ، وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه] الإصحاح السابع والثامن (٢١ - ٢٣) . ولقد ورد أيضاً في إنجيل مرقس الإصحاح الخامس (٧ ـ ١٤) : [فخرجت الأرواح النجسة ودخلت إلى الخنازير] فالخنازير لاتأوى إلا الأرواح النجسة ، فهي إذن (نجس) يجب اجتنابه بحسب الأناجيل .

أما بالنسبة للإسلام فقد حرم كذلك أكل لحم الخنزير وأكل بعض الطعام الذي فيه ضرر أكيد للإنسان وحدد تلك المحرمات في الطعام في الآية : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ﴾ [الآية : ١٧٣ سورة البقرة] .

وقد تكرر ذلك التحريم في [الآية ٣ من سورة المائدة] : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ﴾ ثم يضع الإسلام حالة خاصة ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم ﴾ .

وترد هذه المحرمات في المسيحية ، فلقد جاء في أعمال الرسل الإصحاح ٢١ حيث طلبوا من الأمم التي آمنت [أن يحافظوا على أنفسهم مما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا] (٢٥ ـ ٢٦) وأرسلوا لهم الرسائل والنصائح [أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم ، لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به] الإصحاح ١٥ (٢٠ - ٢١)

وفي رسالة بولس إلى (كورونثوس) في الإصحاح الثامن (١١.١) : [وأما من جهة ما ذبح للأوثان ، نعلم أن ليس وثن في العالم ، وأن ليس إله آخر إلا واحد . . . بل أناس بالضمير نحو الوثن ، الآن يأكلون مما ذبح لوثن ،

فضميرهم إذا هو ضعيف فيتنجس] ويؤكد على ذلك بصورة أخرى في رسالته إلى أهل (كورونثوس) : [أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح ، فماذا أقول أن الوثن شيء أو أن ما ذبح للوثن شيء ، بل أن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله ، فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين] الإصحاح العاشر (١٨-٢١) .

❊ ❊ ❊
❊ ❊
❊

الفصل السادس

الختان في المسيحية والإسلام

الفصل السادس

الختان في المسيحية والإسلام

ترجع عادة الختان (ختان الذكر) إلى عهود قديمة في التاريخ يصعب تحديدها ، حيث كانت موجودة عند شعوب عديدة كالسوريين والمصريين ، وذلك قبل القبائل العبرانية بوقت طويل .

أما بالنسبة لختان (الأنثى) فلقد كان ولا يزال منتشراً عند بعض الشعوب الإفريقية ، ومن الصعب تحديد الوقت الذي قام به البشر بهذه العملية ، وكيفية القيام بها ، وكذلك أسبابها المختلفة .

إذا ما عدنا إلى (العهد القديم) نجد ذكر عملية الختان في (سفر التكوين) : [وقال الله لإبراهيم ، وأما أنت فتحفظ عهدي ، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم ، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر ، فتختنون في لحم غرلتكم فتكون علامة عهد بيني وبينكم ، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . . . وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، أنه قد نكث عهدي] (٩ ـ ١٤) الإصحاح السابع عشر ، وهكذا لم تعد عملية الختان مقتصرة على الولد البكر (فاتح الرحم) بل شملت الأولاد الذكور كلهم .

لقد اعتبر الختان عند اليهود (ختان الرجال) حسب شريعة موسى شعار اليهودية ولا تتم عملية دخول الدين اليهودي (التهويد) ، بدونه فهو العلامة

التي تذكر بالعهد القديم الذي طلبه الله (يهوه) من البشر ، حتى يصبحوا من شعبه ، العلامة الجسدية التي تشير إلى الانتماء العضوي لشعب الله (المختار) ، ويعتبر سنة إلهية شرعت لها التوراة ، كما ورد في سفر التكوين وفي سفر الخروج كما وذكرها يسوع أيضاً . وعلى هذا الأساس تمت قسمة البشر إلى أهل (الختان) وأهل (الغلف) أي الذين لم يختنوا في غرلتهم . وظلت هذه الطقوس قائمة حتى بعد ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام ، حيث ختن على عادة (اليهودية) : *[ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي ، سمي يسوع كما تسمى من* الملاك قبل أن حبل به في البطن] (٢١ - إنجيل لوقا الإصحاح الثاني) .

وهكذا أصبح المسيح مختوناً وكما قال عنه بولس الرسولي : [وأقول أن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء] رسالة بولس إلى أهل رومية ، (الإصحاح الخامس عشر ٨) - فكان المسيحيون الأوائل يختنون على حسب عادة اليهود ، كما أن بولس الرسولي نفسه كان مختوناً ، حيث ورد على لسانه أنه مختون حسب الشريعة : [مع أن لي أن أتكل على الجسد أيضاً ، أن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى من جهة الختان ، مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل] رسالة بولس الرسولي إلى أهل (فيلبي) (٤-٥) الإصحاح الثاني .

وظل يكرز بالختان ويقوم به ، حتى أنه ختن (ثيموثاوس) بنفسه : [فرأى بولس أن يخرج هذا معه فأخذه وختنه] ٤ - الإصحاح السادس عشر - أعمال الرسل .

كان الصراع قائماً بين تلاميذ المسيح وبين أحبار اليهود وكهنتهم وكانت هناك مساجلات حامية معهم في الهيكل وفي أورشليم حول مواضيع عديدة وخاصة منها موضوع الختان ، فبدأ بولس يعدل عن موقفه تجاه الختان ، ويعمل لإلغائه

تدريجياً ، فقال في رسالته إلى أهل (رومية) : [فإن الختان ينفع أن عملت بالناموس ولكن إن كنت متعدياً الناموس ، فقد صار ختانك غرلة ، إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أنها تحسب غرلته ختاناً وتكون الغرلة التي من الطبيعة ، وهي تكمل الناموس ، تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس] (٥ ـ ٢٧) .

وظل الختان سائداً في المرحلة الأولى للتبشير حيث (انحدر قوم من اليهود وجعلوا يعلمون الأخوة أنه أن لم تختنوا حسب موسى لا يمكنكم أن تخلصوا) (الإصحاح الخامس عشر ، أعمال الرسل ـ ١ ـ) ومارس اليهود اضطهادهم لتلامذة ورسل المسيح الذين يكرزون بالبشارة ، وواجه بولس نفسه الكثير من عدواوة اليهود ، فلم يعد يختن تلاميذه وأصحابه المؤمنين بدعوته ، فقال : [هأنا بولس أقول لكم أنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً ، لكن أشهد أيضاً أن لكل إنسان مختتن أن يعمل بكل الناموس ، فإنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة] وتذمرت شعوب شمال البحر المتوسط والبلقان وما جاورها من كثير من أحكام الشريعة (شريعة موسى) عليه الصلاة والسلام وحتى لا يثقل المبشرون والرسل على الأمم التي آمنت بالمسيح أزالوا من أمامها الكثير من القيود اليهودية ويسروا أكثر تعاليم المسيح حتى تناقضت في بعض الأحيان مع الشريعة اليهودية ، حيث كان اليهود يقولون (طوبى للمختونين) لأنهم يضمنون رضى (يهوه) ويصبحون من شعبه المختار ، فيرد عليهم بولس [أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضاً ، لأننا نقول أنه حسب لإبراهيم الإيمان برا ، فكيف حسب ، أوَ هُوَ في الختان أم في الغرلة ليس في الختان بل في الغرلة ، وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذي

كان في الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم أيضاً البر] رسالة بولس إلى أهل (رومية) (٩ ـ ١٢) الإصحاح الرابع .

وظل الصراع دائراً حول هذا الموضوع مدة من الزمن حيث كان اليهود يفتخرون به من الناحية الجسدية والجمالية ، على الأمم الأخرى فيقول فيهم بولس : [جميع الذين يريدون أن يعملوا منظراً حسناً في الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا ، لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط ، لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس ، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي تفتخروا بجسدكم ، وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر ، لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة] رسالة بولس إلى أهل (غلاطية) (١٢ ـ ١٦) الإصحاح السادس .

ولم يحسم هذا الخلاف بالرغم من رسالة بولس الأخيرة إلى أهل (كولوسي) في الإصحاح الثاني (٨ ـ ١٢) حيث يقول : [وأنتم مملؤون في (المسيح) الذي هو رأس كل رياسة وسلطان ، وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح] وأخيراً تم حسم هذه الخلافات ، حيث أفتى مجمع (الرسل) بتحرير المسيحيين من الختان ومن سائر أحكام التوراة وذلك كما ورد في أعمال الرسل ، ولكن بعض فئات من المسيحيين وخاصة أولئك الذين أطلق عليهم اسم (النصارى) في الجزيرة العربية ، ظلت تمارس الختان فانتقل بواسطتهم إلى العرب خاصة في مكة والحجاز وأصبحت عادة من العادات الاجتماعية ، وظلت حتى ظهور الإسلام ، فلم يحرمها الإسلام أو يمنعها ، في نص قرآني أو حديث ، ولقد اختتن الرسول محمد ﷺ وهو صبي حسب الشريعة ، وحين أتته الرسالة

السماوية شجع على الختان وحض عليه ، ولكنه لم يعتبر طقساً ديناً خاصاً ، فقال عنه الرسول ﷺ : « الختان من خصال الفطرة » وذلك كما ورد في صحيح مسلم وصحيح البخاري ثم عممه بصورة أوسع وأشمل ، فورد في مسند ابن حنبل « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » أما بالنسبة لعادة ختان النساء التي جاءت من المناطق الإفريقية الحارة وخاصة اثيوبيا (الحبشة) ، فلقد انتشرت عند بعض القبائل وخاصة الفقيرة منها ، كما ظلت موجودة بعد الإسلام ، ولا تزال آثارها باقية في بعض البلاد العربية مثل مصر والسودان ولكنها لا تعد شرطاً من شروط الدين ، أما بالنسبة لختان الرجل فإنه أصبح بحكم العادة (سنة) تطبق على الذكور المسلمين دون تهاون أو إغفال . ولا تزال بعض فئات من المسيحية في الوطن العربي والعالم تمارس الختان حسب الشريعة ، وكذلك اتجه الكثيرون منهم إلى ختان الطفل حين ولادته وذلك من الناحية الصحية والنفسية كما ويوصي الأطباء والعلماء به في كافة أنحاء العالم .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

الفصل السابع

الغسل والوضوء والتطهير

الفصل السابع

الغسل والوضوء والتطهير

لقد أخذت بعض فئات من المسيحيين (النصارى ـ الأبيونيين ـ الأسينيين . . .) مراسم الغسل والوضوء والتطهير من الشريعة اليهودية ، إذ كان الوضوء موجوداً عندهم (غسل اليدين والرجلين) قبل كل صلاة ، وهي شرعة توراتية وفرض واجب عليهم ويمارسونه في حالات أخرى كثيرة ، قبل الأكل وقبل كل احتفال مقدس : [وكلم الرب موسى قائلاً : وتصنع مرخصة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال ، وتضعها بين خيمة الاجتماع والمذبح ، وتجعل فيها ماء ، فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها ، عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لئلا يموتوا ، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقوداً للرب ، يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا ، ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم] سفر الخروج الإصحاح (٢٠) ـ (١٧ ـ ٢١) .

ولقد قام موسى عليه الصلاة والسلام [فوضع المرخصة بين خيمة الاجتماع والمذبح ، وجعل فيها ماء للاغتسال ليغسل منها موسى وهارون وبنوه أيديهم وأرجلهم عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع ، وعند اقترابهم إلى المذبح يغسلون كما أمر الرب موسى] سفر الخروج الإصحاح (٤٠) (٣٠ ـ ٣٣) .

أما المتطهر من الرجس [فينضح الماء عليه سبع مرات ، ويغسل المتطهر ثيابه ويحلق كل شعره ، ويستحم بماء فيطهر] (٧ ـ ١٢) الإصحاح الرابع عشر سفر اللاويين .

وهناك حالات أخرى عديدة يطلب فيها التطهير أو الاغتسال ، فهناك الغسل بعد (الجماع) : [وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع ، يرخص كل جسده بماء ، ويكون نجساً إلى المساء ، وكل ثوب ، وكل جلد ، عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ، ويكون نجساً إلى المساء ، والمرأة يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان بماء ، ويكونان نجسين إلى المساء (١٦-١٨) الإصحاح الخامس عشر - لاويين .

وظل الغسل عند تلك الفئات من الواجبات فقال عنهم (ابيفان) : (عندهم وضوء شامل كل يوم للتطهير) ، والغسل عندهم واجب أيضاً (قبل الأكل والصلاة وبعد كل جماع جنسي) و (عند لسعة الأفعى أو في مرض أي مرض) .

وكانت هناك شريعة سميت شريعة (السيل) من الرجل أو المرأة لمرض أو عادة أو جماع بين الذكر والأنثى مفصلة عند اليهود : ففي حالة الطمث : (وإذا كانت المرأة لها سيل ، وكان سيلها دماً في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها ، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء ، وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً ، وكل ما تجلس عليه يكون نجساً ، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ، ويكون نجساً إلى المساء وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ، ويكون نجساً إلى المساء ، وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء ، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام ، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً ، وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أياماً كثيرة في غير وقت طمثها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما في أيام طمثها ، إنها نجسة . . . وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر أما بالنسبة للرجل ، فكذلك له أحكام في الشريعة اليهودية : [كل رجل له سيل من لحمه فسيله نجس ، وهذه

تكون نجاسته بسيله ، إن كان لحمه يبصق سيله أو يحتبس لحمه عن سيله ، فذلك نجاسته ، كل فراش يضطجع عليه الذي له السيل يكون نجساً ، وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً ، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ، ومن جلس على المتاع الذي يجلس عليه ذو السيل ، يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ، ومن مس لحم ذو السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ، وإن بصق ذو السيل على طاهر يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ، وكل ما يركب عليه ذو السيل يكون نجساً ، وكل من مس كل ما تحته يكون نجساً إلى المساء ، ومن حَمَلَهن يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء ، وكل من مسه ذو السيل ولم يغسل يديه بماء يغسل ثيابه ويستحم بماء يكون نجساً إلى المساء ، واناء الخزف الذي يمسه ذو السيل يكسر ، وكل إناء خشب يغسل بماء ، وإذا طهر ذو السيل من سيله يحسب له سبعة أيام لطهره ، ويغسل ثيابه ويرخص جسده بماء حي فيطهر] اللاويين الإصحاح الخامس عشر (١ ـ ١٤) .

ثم تورد التوراة بعض الأوامر والنواهي حول النجاسة أيضاً : [ولا تقترب إلى امرأة لتنكشف عورتها في نجاسة طمثها ، ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع . . . ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها ، إنه فاحشة] .

وهناك حالات عديدة كالذي أكل فريسة أو من لمس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر ، أو الأبرص المتبرأ أو المرأة التي حبلت فولدت ، كل هذه الحالات كانت واجبة . للتطهير والاغتسال .

وكذلك الاغتسال من الجنابة ، بإيلاج أو بإنزال ، كان شرعة عند النصارى من بني إسرائيل خصوصاً الابيونيين منهم والكسائيين ويرى بعضهم أن المقصود

بالفحشاء في نصوص التحريم هو عدم الاغتسال من الجنابة وكانوا يسمونه (الطهور) تمييزاً له من (الوضوء) للصلاة ، وكان الغسل فرضاً بعد الجماع عند النصارى ، ولم يكن ذلك فرضاً في المسيحية ، ونرى كليمنضوس الاسكندري يحمل على عادة التطهير اليهودية بعد الجماع عند المسيحيين .

أما الإسلام فلقد أخذ من الأديان السماوية السابقة موضوعين رئيسيين هما (الوضوء والغسل) وأموراً أخرى وردت في السنة الشريفة عن التطهير (ثياب ، مواعين ، أدوات أخرى . . .) فالغسل الصغير أو (الوضوء) ورد في القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ وسهل القرآن الكريم على المصلين الوضوء حيث فقدان الماء فعوض عن ذلك (بالتيمم) حتى لا يهملوا هذا الاستعداد الضروري للصلاة : ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ [الآية ٦ من سورة المائدة] وكان بعض النصارى في القديم يستخدمون الرمل بدلاً عن الماء في المعمودية .

أما الغسل الكبير فإن التشريع القرآني ينص على الغسل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة . . . ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ـ . . . أو لامستم النساء ﴾ [الآية ٤٢ من سورة النساء] . والاغتسال يعني صب الماء على كامل الجسم والرأس والشعر وله تعليمات وتوجيهات متممة . ولقد جاء في الجلالين (جنباً : بإيلاج أو إنزال ، وهو يطلق على المفرد وغيره . . لامستم وفي قراءة بلا ألف ، وكلاهما بمعنى اللمس أي الجس باليد ، قال أبو عمر الشافعي ، وألحق به الجس بباقي البشرة ، وعن ابن عباس هو الجماع .

لقد حافظ الإسلام على فكرة التطهير والطهارة ومصطلحاتها وهي فكرة كتابية من الديانات السماوية السابقة فهناك :

طهارة النساء : ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المطهرين ﴾ [الآية : ٢٢٢ سورة البقرة] .

طهارة الرجال : ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ﴾ [الآية : ١٠٨ سورة التوبة] .

طهارة البيت : ﴿ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود ﴾ [الآية : ٢٦ من سورة الحج] ، وورد أيضاً : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود ﴾ [الآية : ١٢٥ من سورة البقرة] .

طهارة آل البيت : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ [الآية : ٣٣ من سورة الأحزاب .

الماء الطهور : ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ، ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان ﴾ [الآية : ١١ من سورة الأنفال] .

ثم ورد الماء الطهور في الآية : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾ [الآية : ٤٨ من سورة الفرقان] .

الشراب الطهور : ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ [الآية : ٢١ سورة الإنسان] .

الأزواج المطهرة : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون ﴾ [الآية ٢٥ من سورة البقرة] وورد أيضاً : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ،

وأزواج مطهرة ورضوان من الله ﴾ [الآية : ١٥ من سورة آل عمران] .

الصحف المطهرة : ﴿ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ﴾ [الآية ٢ البينة] ووورد أيضاً : ﴿ في صحف مكرمة ❖ مرفوعة مطهرة ❖ بأيدي سفرة ﴾ [الآيات ١٣ ـ ١٥ من سورة عبس] .

مريم الطاهرة : ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ [الآية : ٤٢ من سورة آل عمران] .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

الفصل الثامن

الصيام في المسيحية والإسلام

الصيام طقس ديني قديم ، ارتبط بطقوس الصلاة عند مختلف الشعوب حتى البدائية منها ، وهو يعني الامتناع عن تناول الطعام والشراب لمدة من الوقت يوماً أو يومين أو أكثر أو الامتناع عن تناول بعض الأطعمة ، والاقتصار على طعام معين مثلاً .

لقد أحس الإنسان منذ القدم بأن في داخله نزعتين قويتين نزعة نحو الأعلى نحو السماء تدفعه للترفع عن المادة والحاجات الجسدية ، ونزعة نحو الأسفل ، نحو الأرض ، تدفعه للارتباط بالمادة والحاجات الجسدية ، وعندما تسيطر عليه النزعة الأولى فإنه بشكل عفوي ينقطع عن تناول الطعام ويجاهد نفسه وحاجاته الجسدية ليتغلب عليهما ويترفع عنهما ، وهذه النزعة موجودة على أشدها عند المتصوفة ، والزهاد والنساك ، وفي بعض الديانات كالبوذية وغيرها .

وجد الصيام عند اليهود منذ بداية الديانة الموسوية ، ولقد ورد في (التلمود) ـ (٥/ ٤) وفي (المشنا) ـ (١ـ٢) : [أن أول نهار الصيام هو الوقت الذي يقدر المرء فيه أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق] ولقد ورد في القرآن الكريم الصيام حيث قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ (إلى المغرب) سورة البقرة [الآية : ١٨٧] ، فالصيام شرعة كتابية كتب على الشعوب والأمم الأخرى

السابقة للإسلام في اليهودية والنصرانية ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [الآية : ١٨٣ سورة البقرة] وجاءت في قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ [الآية : ١٨٥ سورة البقرة] .

لقد كان المسيح عليه الصلاة والسلام يصوم وكان أول صيامه عندما امتحنه (إبليس) حيث صام أربعين يوماً : [ثم اصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس ، فبعدما صام أربعين ليلة جاع أخيراً ، فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً ، فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان] (١-٥ الإصحاح الرابع ، إنجيل متى) ولم يطلب المسيح من تلاميذه في البداية أن يصوموا [حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين ، لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً ، وأما تلاميذك فلا يصومون ، فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ، ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون] (١٤ ـ ١٦ إنجيل متى الإصحاح التاسع) . وهذه الحادثة مكررة في إنجيل لوقا الإصحاح الخامس ـ(٢٢ ـ ٢٦) وفي إنجيل مرقس الإصحاح الثاني ـ (١٨ ـ ٢١) ثم ورد الصيام في إنجيل متى حيث كان المسيح يصوم وينصح تلاميذه بالصيام [ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين ، الحق القول لكم إنهم قد استوفوا أجورهم ، وأما أنت فمتى صمت ، فادهن رأسك واغسل وجهك ، لكي لا تظهر للناس صائماً ، بل لأبيك الذي في الخفاء ، فأبوك الذي يرى في الخفاء ، يجازيك علانية] (١٦ ـ ١٨ الإصحاح السادس إنجيل متى) .

أما إنجيل (لوقا) فلم ترد كلمة الصيام ، ولكنه أورد حادثة تجربة (إبليس) للمسيح عليه الصلاة والسلام فقال : [ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام ، أربعين يوماً يجرب من إبليس ، ولما تمت جاع أخيراً] (الإصحاح الرابع ١ ـ ٥) .

كان الصيام من الطقوس الدينية التي تقرن بالصلاة فقال المسيح عليه الصلاة والسلام : عن الشيطان الذي يدخل الأجساد ولا يخرج منها : [أما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم] (٢١ الإصحاح السابع عشر إنجيل متى) . وكذلك اقترن الصيام في الإسلام بالصلاة أيضاً في كثير من الآيات ، وروى البيضاوي عن صيام النصارى : [إن رمضان كتب على النصارى ، فوقع في برد أو حر فحولوه إلى الربيع ، وكان أياماً معدودات موقتات بعدد معلوم أو أيام قلائل والمراد بها شهر رمضان ، وقيل صومكم كصومهم في عدد الأيام ، ولكن النصارى حولوه إلى الربيع ، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله] .

ولقد اختلف في هذه الأيام المعدودات بشهادة (ايرناوس) ، ثم تطورت إلى الوضع الحالي ، ويخرج البيضاوي من صوم النصارى شهر رمضان وصوم المسيحيين ، أربعين يوماً في مدة خمسين لامتناعهم عن الصوم من دون انقطاع في يومي السبت والأحد وفي تحويل رمضان إلى الربيع ، ويخلط بين رمضان النصارى على حساب الشهر القمري ، وصيام المسيحيين على الحساب الشمسي . كما كانت تقاليد وأحكام الصيام في النصرانية ألا يجامع الرجل زوجته (كما في البدء) ، وقد بقي إلى اليوم مثل هذا الأثر في شريعة الامتناع عن الزواج في زمن الصوم المقدس ، ولكن هذه الأحكام ألغيت فيما بعد ، وجاء في القرآن الكريم ما يعدلها : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم

لباس لهن ﴾ [الآية : ١٨٧ سورة البقرة] ، واستبقى منعها في خلوة المساجد ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ لقد تم تثبيت الصيام في الإسلام في (شهر كامل) هو شهر رمضان وأصبح حسابه على الشهر القمري ، وفي ذلك تيسير للناس حيث يتغير خلال السنين من برد إلى اعتدال إلى حر ، ومن موسم إلى آخر ، ومن أوقات طويلة إلى أوقات قصيرة ، فكان في ذلك عدالة إلهية لجميع بني البشر وفي مختلف بلادهم وتوزعهم الجغرافي . ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ ، ثم يسر القرآن الكريم الصيام لما فيه من جهد ومشقة وصعوبة على المرضى والمسافرين فقال تعالى : ﴿ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ وكذلك ورد في الآية ١٨٥ : ﴿ يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ثم أصبح الصيام في الإسلام ذا شأن عظيم فهو فدية وصدقة ، حيث ورد في مناسك الحج : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك . . . ﴾ [الآية ١٩٦ سورة البقرة] وكذلك ورد فيها أيضاً : ﴿ فما استيسر من الهدي ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ وأصبح كفارة عن الخطأ : ففي اللغو في الأيمان ، طلب تعالى إطعام عشرة مساكين أو تحرير رقبة من العبيد : ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم ﴾ [الآية : ٨٩ سورة المائدة .

وكان بعض المسلمين الأوائل يظاهرون نسائهم خاصة عندما يتقدمن في العمر أي يمتنعون عنهن ، من الناحية الجنسية ويعدونهن كأمهاتهم ، فورد النهي

عن ذلك نهياً شديداً وطلب مقابل ذلك تحرير رقبة من العبيد أو ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ﴾ [الآية : ٤ سورة المجادلة] وكذلك وصلت كفارة أو (دية) القتل الخطأ إلى اعتبار الصيام كافياً لتأدية حقوق الناس والله : فطلب الكفارة تحرير رقبة من رقاب العبيد أو ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليماً حكيماً ﴾ [الآية : ٩٢ سورة النساء] . وهكذا أصبح الصيام تطهيراً للنفس والجسد والروح وهذا ما يمكن أن يقوم به المؤمنون كما فعلت مريم عليها الصلاة والسلام : ﴿ فقولي إني نذرت للرحمن صوماً ﴾ [الآية : ٢٦ سورة مريم] .

وأخيراً أعد الله المغفرة والأجر العظيم لـ ﴿ الصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ [الآية : ٣٥ سورة الأحزاب] .

* * *

الفصل التاسع

القربان في المسيحية والإسلام

الفصل التاسع

القربان في المسيحية والإسلام

القربان من الطقوس الدينية القديمة أيضاً ، والتي ارتبطت بحياة الجماعة البشرية ، وهو تقرب من الإله المعبود ، وكان يوجد عند كافة الشعوب حتى البدائية منها والوثنية وغيرها .

ورد ذكر القربان في القرآن الكريم منذ أيام آدم عليه الصلاة والسلام حيث جاء : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [الآية : ٢٧ سورة المائدة] .

ووجد عند اليهود مجموعة من أشكال القربان البدائية وحتى الوثنية مثل [ذبيحة الخطايا ، وذبيحة الحمد والشكر ، وذبيحة الدم . .] وكذلك أشكال من المحرقات حول المعابد وفي أعالي الجبال وأسفلها وجاء في سفر الخروج في الإصحاح الرابع والعشرين [وبكر في الصباح وبنى مذبحاً في أسفل الجبل واثني عشر عمودا لأسباط إسرائيل الاثني عشر ، وأرسل فتيان بني إسرائيل فاصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران ، فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس ونصف الدم ورشه على المذبح . . . وأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال : هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال] كما ذكر المذبح وأوصافه وزخارفه وتزييناته في الإصحاح السابع

والعشرين التي كانت على أيام (موسى وهارون) عليهما الصلاة والسلام كما يدعون وكانت محرقات ومذابح تشبه مالدى الشعوب والأمم الوثنية التي كانت في فلسطين آنذاك .

ويورد سفر الخروج أيضاً في الإصحاح التاسع والعشرين من (١٠ـ١٨) طقوس الذبح وتفاصيلها : [وتقدم الثور إلى قدام خيمة الاجتماع فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الثور ، فتذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع ، وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك ، وسائر الدم تصبه إلى أسفل المذبح ، وتأخذ كل الشحم الذي يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما وتوقدها على المذبح ، وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار خارج المحلة ، هو ذبيحة خطية . وتأخذ الكبش الواحد ، فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ، فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية ، وتقطع الكبش إلى قطعه ، وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه ، وتوقد كل الكبش على المذبح ، هو محرقة للرب ، رائحة سرور ، وقود هو للرب . وأما كبش الملء فتأخذه وتطبخ لحمه في مكان مقدس ، فسيأكل هارون وبنوه لحم الكبش والخبز الذي في السلة عند باب خيمة الاجتماع يأكلها الذين كفر عنهم لملء أيديهم لتقديسهم ، وأما الأجنبي فلا يأكل لأنها مقدسة ، وإن بقي شيء من اللحم أو من الخبز إلى الصباح تحرق الباقي بالنار ، لا يؤكل لأنه مقدس . . . وتقدم ثور خطية كل يوم لأجل الكفارة ، وتطهر المذبح بتكفيرك عليه وتمسحه لتقديسه سبعة أيام تكفر على المذبح وتقدسه ، فيكون المذبح قد أقداس ، كل ماس المذبح يكون مقدساً . . . وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكول لهم إلهاً] (١٠ ـ ٤٦) ثم جاء

المسيح عليه الصلاة والسلام ليلغي ذبائح العهد القديم ، وحارب تلاميذه والمبشرون الأوائل الأصنام والذبائح والمحرقات وغيرها ولقد ورد في الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح العاشر (١١-١٨) : [وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة ، تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية . . . وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية] .

أما بولس فإنه يقف ضد الأصنام والتماثيل وما شابه : [وبينما بولس ينتظرهما في أثينا احتدت روحه فيه ، إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً] الإصحاح السابع عشر أعمال الرسل (١٦) .

ويؤكد المسيحيون أنه تم إلغاء ذبائح العهد القديم استناداً إلى تعاليم التوراة نفسها ، وقد عبر المزمور الخمسون عن ذلك : [إنك لا تبغي ذبيحة ، فابذل ولا ترتضي بمحرقة] (٥٠/١٨) (أطفأ) بصبغة المعمودية النار التي يشعلها الكاهن للخطايا .

ولما قضى الرومان على هيكل سليمان انقضى عند اليهود قربان الضحايا ، وباتوا ينتظرون المسيح عليه الصلاة والسلام الذي سيأتيهم بقربان : ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ [الآية : ١٨٣ سورة آل عمران] .

[وكانت بعض الفرق من المسيحيين الأوائل تقول بفضائل ذبائح الحمد على ذبائح الدم ، ولكنها ألغيت كلها .

وكان أهل الإنجيل يرددون لليهود بأن الله تعالى ، بواسطة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام قد أبدل قربان الدم بقربان الخبز والخمر كما يقول المسيحيون ،

أو بقربان الخبز والماء كما يقول النصارى وكان صحابة المسيح عليه الصلاة والسلام والتابعين لهم بإحسان يقدمون القربان في حفلة (عشاء المحبة) على مثال المعلم ، ويسمونه (الافخار سيتا) أي (الحمد) أو (المائدة المقدسة) أو (مائدة الرب) لكن المسيحيين أقلعوا عن عادة العشاء (للشقاقات) التي كانت تجرى فيها منذ تنديد بولس بها ، وغلب عليها اسم (مائدة الرب) ، وكانت حفلة العشاء بعد تقديم القربان ، تقتصر على الحليب والعسل والفواكه] .

لقد ورد ذكر المائدة في القرآن الكريم في السورة الرابعة في ترتيب القرآن حيث سميت باسمها تكريماً وتعظيماً لمائدة المسيح عليه الصلاة والسلام ، فهي (مائدة من السماء) (١١٢) طلبها الحواريون من عيسى (١١٢) ، لتطمئن بها قلوبهم (١١٣) فطلبها عيسى من الله (١١٤) لتكون عيداً للأولين والآخرين (١١٤) ونزلها الله بناء على طلبه (١١٥) وأخذ عيسى يعلن مهدداً بالعذاب الذي لا مثيل له لمن يكفر بها (١١٥) : ﴿ إذ قال الحوارين يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ❖ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ❖ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ❖ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ [الآية : ١١٢ ـ ١١٥ من سورة المائدة] .

وجد القربان عند العرب قبل الإسلام ، وكذلك الأضحيات والنذور وغيرها ، وذلك بسبب وجود اليهود والنصارى في الجزيرة العربية الذين نقلوا

إليهم تلك العادات والطقوس ، وقد شجبها الإسلام ونهى عنها واعتبرها من علامات الشرك بالله : ﴿ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الآية : ٣ من سورة الزمر] .

ثم أكد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴾ [الآية : ٣٧ سورة سبأ] .

والقربان الذي كان يقدمه العرب كان افتراء وافكاً : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ، بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون ﴾ [الآية : ٢٨ سورة الأحقاف] .

وكان بعض الأعراب يؤمنون بالله ولا يشركون به ، وكانوا ينفقون في سبيل الله فتقبلها سبحانه وتعالى منهم وقال : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم ﴾ [الآية : ٩٩ سورة التوبة] .

أما بالنسبة (للأضحية) التي تقدم في موسم الحج (الهدي) فهي من مراسم الحج وأحكامه . ظلت موجودة في الإسلام فقال تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ، فما استيسر من الهدي ﴾ [الآية : ١٩٦ سورة البقرة] .

ويربطها بعض المفسرين بذبح (إسماعيل) عليه الصلاة والسلام حيث تم فداءه : من قبل أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ❖ فلما أسلما وتله للجبين ❖ وناديناه أن يا إبراهيم ❖ قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ❖ إن هذا لهو البلاء المبين ❖ وفديناه بذبح

عظيم ﴾ [الآية : ١٠٢ ـ ١٠٧ من سورة الصافات] .

وما يزال بعض المسلمين يقومون بذبح (أضحية) في العيد الكبير الذي يلي الحج ، ويسمى بعيد الأضحى في كل عام فيأكلون بعضه ويفرقون باقي اللحم على الفقراء والمحتاجين .

أما النذور فلا تزال كذلك عند بعض المسلمين يطبقونها وفق الآية ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ [الآية : ٢٩ من سورة الحج] .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

الفصل العاشر

التبتل والزواج

الفصل العاشر

التبتل والزواج

الزواج أو عدم الزواج (التبتل) أمران موجودان في الديانتين اليهودية والنصرانية ، فلقد كان الزواج سنة توراتية ، ونادى بها الإنجيل بعد تعديلها من أجل منع تعدد الزوجات ومنع الطلاق مع الدعوة إلى البتولية عند الذين يتخصصون بالدعوة إلى (ملكوت الله) وهذه هي الرهبانية .

في البدء كانت البتولية محرمة عند الأبيونيين من النصارى حسب ما يقول عنهم (ابيفان) : [واليوم يحرمون البتولية والإمساك عن الزواج ، كما في سائر الشيع التي تشبههم ، ويفرضونه على الشباب فرضاً ، ولكن قديماً كانوا يحرمون التبتل ، ومن يمتنع عن الزواج تقع عليه مسؤولية امتناعه] .

وكان الأسنيون من اليهود ينادون بالبتولية ولا يفرضونها إلا على المريدين منهم ومن رهبانهم في أديرة (قمران) ، ولما تنصروا أدخلوا معهم دعوتهم إلى البتولية في (النصرانية) فظهرت عند النصارى من بني إسرائيل نزعتان : الأولى معتدلة تدعوا إلى الزواج وتشجع البتولية ، والثانية متطرفة متعصبة تفرض البتولية على الجميع ، وهذه النزعة المتطرفة هي التي قاومها (بولس الرسولي) في أواخر أيامه ويقول [والروح يقول صريحاً : إن بعضاً سيرتدون عن الإيمان في الأزمنة الأخيرة ، ليتبعوا أرواحاً مضلة وتعاليم شيطانية ، من رئاء الناس متخرصين ضمائرهم موسومة ، يمنعون من الزواج ومن أطعمة خلقها الله لكي يتناولها في شكر المؤمنون والعارفون للحق] .

وحددت (النصرانية) الشرعة الصحيحة : [إن النبـي الحق قد شرع الزواج وأذن بالإمساك عنه] ومع الزمن وتناقص عدد النصارى بسبب الامتناع عن الزواج ، فرضوا الزواج ومنعوا الإمساك عنه إلا ما كان من رهبانهم ، ولكن (القس) عندهم حتى في مرحلة (أسقف) كان يسمح له بالزواج .

إلى آخر ما نقله عنهم (ابيفان) : [اليوم يحرمون البتولية والإمساك عن الزواج كما في سائر الشيع التي تشبههم ، ولكن كانوا قديماً يحرمون البتولية ، لاشك على غرار (يعقوب) ، أخي الرب ، الذي ينسبون إليه كتباً إلى القسيسين والعذارى يحثهم على ذلك] ويضيف بأن التبتل محرم عند الكسائيين منهم والزواج فرض ، وذلك قبل هجرتهم إلى مكة والحجاز ، وكان شعارهم [لا رهبانية في النصرانية] ومع ذلك كانت ديار المسيحية تعج بالرهبان والأديرة .

وعندما هاجروا إلى مكة والحجاز ، أشاع النصارى شعارهم هذا وأصبح شعاراً عند المسلمين (لا رهبانية في الإسلام) ، ولم يكن موقف القرآن من البتولية رفضاً مطلقاً ، كما يظن بعض الناس ، فهو لم يحرم الرهبانية مثلاً تحريماً مطلقاً ، إنما يقف ضد بعض الرهبان الذين لم يرعوها حق رعايتها : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ [الآية : ٢٧ من سورة الحديد] . أي لم يعيشوا بموجب ما عاهدوا به أنفسهم وعاهدوا الله ، لذلك فهو يعظم شأن الرهبان الحقيقيين الذين لا يستكبرون : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وإنهم لا يستكبرون ﴾ ويصفهم القرآن الكريم وصفاً مؤثراً : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من

الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [الآيات : ٨٢ ـ ٨٣ من سورة المائدة] .

ويهاجم القرآن الكريم الأحبار والرهبان الذين أشركوا بالله : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحد ﴾ [الآية : ٣١ من سورة التوبة] ، كما يهاجم الذين يعملون بالباطل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ [الآية : ٣٤ سورة التوبة] .

أما الزواج في الإسلام فهو واجب يحرض عليه ويسهل طريقه على كل المسلمين ، فهو من الفطرة الإلهية حيث خلق الله سبحانه وتعالى الأزواج من نفس واحدة : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ [الآية : ٧٢ من سورة النحل] ، كما أكد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾ [الآية : ٢١ من سورة الروم] . والزواج وأحكامه وشروطه ورخصته معروفة في الإسلام وسوف نتناولها في الكتاب القادم (العلاقات الاجتماعية في الأديان السماوية) .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

المؤلف في سطور



- يحمل المؤلف إجازة في الدراسات الاجتماعية والنفسية والفلسفية من جامعة دمشق .
- دبلوم في التأهيل التربوي من جامعة دمشق .
- دبلوم في الدراسات العليا من جامعة دمشق في التربية وعلم النفس .
- عضو الجمعية السورية للعلوم النفسية والتربوية .
- عمل في وظائف عديدة في مجال الشؤون الاجتماعية والعمل : رئيساً لدائرة شؤون الموظفين ، ومديراً للمكتب الصحفي ومديراً للإدارة العامة ، وكلف بمهام الأمين العام للوزارة في حال غيابه .
- عمل في وزارة التربية مديراً لعدد من الثانويات في الميادين والزبداني وفي الجزائر (المعهد التكنولوجي) .
- أوفد إلى كندا لدراسة سياسة الأجور من قبل الأمم المتحدة ـ مكتب العمل الدولي (أوتاوا ـ تورونتو ـ مونتريال) ، وشارك في عدد من المؤتمرات العمالية الدولية (كندية وأمريكية) .
- شارك في عدد من المؤتمرات العربية كعضو في الوفد العربي السوري لمؤتمر وزراء العمل العرب في الكويت ولمؤتمرات في الشؤون الاجتماعية في القاهرة وغيرها .
- أعد دراسة حول (سياسة الأجور) في النظام الرأسمالي في (كندا) باللغة الإنكليزية .
- شارك في تحرير جريدة كفاح العمال في بداياتها .
- أشرف وأعد برنامج العمال في التلفزيون العربي السوري في بداياته .
- ترجم العديد من المقالات الاجتماعية والعمالية من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية ونشرت في صحيفة العمال .
- قدم مجموعة من الأبحاث في ميدان التربية (تربية الأطفال) .

- شارك بتأليف الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية الصناعية في مادة التربية الوطنية .
- نشر مبكراً العديد من المقالات الاجتماعية في مجلتي الدنيا والرقيب السوريتين وصحف أخرى .
- نشر مؤخراً العديد من المقالات في الصحف العربية الأمريكية .
- قام بتأليف كتاب (الزبداني مدينة الخير والجمال)
- قام بتأليف كتاب (تاريخ مضايا) .
- له تحت الإعداد عدة مؤلفات تاريخية حول (وادي بردى) و (بلودان) .
- له تحت الإعداد والطبع كتاب : (العلاقات الاجتماعية في المسيحية والإسلام) - قيد الطبع .
- يقدم اليوم كتابه : (دعوة إلى تقارب إسلامي مسيحي - النبوة والعبادات) .

* * *
* *
*

★ يستهل المؤلف أبحاثه بدعوة إلى تقارب بين الدينين الرئسيين في العالم (الإسلام والمسيحية) ، وبدراسة تمهيدية تقرب وجهات النظر والمواقف لاعتراف كل دين بالآخر وتقبله ، وخاصة فيما يتعلق بالنّبوة والعبادات (نبوّة المسيح ونبوّة محمد) (ص.ع) ، وبتوجه الجميع إلى خالق واحد وإله واحد من خلال شعائرهم وعباداتهم و عقائدهم .

ولقد دعت المسيحية والإسلام لمثل هذا التفاهم والتقارب والتقبل بقوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً)

(قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً)

ويقول السيد المسيح في الأناجيل : (إن أول كل الوصايا هي : الرب إلهنا رب واحد ... إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ... للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ... وهذه هي الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت ، الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته)

★ دراسات و أبحاث اخرى ستتقدمها دار السيد للدراسات والترجمة و النشر والتوزيع لعدد من المؤلفين والكتاب تتناول أهم المواضيع الدينية في المسـيحية والإسـلام .

دار السيد للدراسات و الترجمة و النشر و التوزيع

الناشر